

## الفصل الثانى

### الصفويون ومن تلاهم

#### الصفويون

إيران الحديثة تبدأ من الأسرة الصفوية التى أسسها إسماعيل الأول المولود فى ١٧ يوليو عام ١٤٨٧ وتوفى بقم ٢٣ مايو عام ١٥٢٤ ثم صار ملكا (شاه) على إيران ابتداء من عام ١٥٠١ حتى عام ١٥٢٤، ولأول مرة منذ الفتح الإسلامى تصبح إيران دولة قائمة بذاتها، وكان إسماعيل يدعى أنه من سلالة أئمة الشيعة الاثنى عشرى وهو ادعاء لم يقم عليه أى دليل، وفرض المذهب الشيعى الاثنى عشرى على الدولة، على رغم الغالبية الساحقة من إيران كانوا فى ذلك الوقت من السُّنَّة. ولكنه وجد فى الانتماء إلى التشيع ما يميّزه تمييزا حادا عن الأتراك العثمانيين أهل السُّنَّة، الذين تطلعوا دائما لابتلاع إيران.

وقد اعتمد إسماعيل على الطريقة الصفوية. وهى طريقة صوفية، فحشد ٧٠٠٠ صوفى من القزلباشية فى أزركان واستطاع الانتصار على جيش أفاقويونلو بقيادة ألوند فى معركة شرور، وبهذا النصر استطاع الاستيلاء على إقليم أذربيجان، ونُصب ملكا فى تبريز عام ١٥٠١.

وقام بعد ذلك بتوسيع رقعة مملكته ففتح إقليم فارس وعراق العجم عام ١٥٠٣. وإقليم مازندران وجرجان ويزد عام ١٥٠٤ وديار بكر عام ١٥٠٥ - ١٥٠٧ واستولى على بغداد والعراقى العربى ١٥٠٨ وعلى شيراز ١٥٠٩ وفتح هرات ١٥١١م. وهكذا توطد ملكه فى إقليم خراسان (شرق إيران وجزء من أفغانستان) وهكذا أصبحت إيران كلها، حوالى عام ١٥١٠ تحت سلطانه. وكان وجود هذه الدولة الشيعية على حدود الدولة العثمانية، حافزا لكى يتحرك السلطان سليم الأول عام ١٥١٤ لغزو إيران وهزيمة جيش إسماعيل هزيمة ساحقة فى معركة «تشاندران» جاندران بعدها لم تقم لإسماعيل قائمة، وانكفأ على نفسه، وترك الأمر لوزرائه خلال السنوات العشر الأخيرة من حياته، إلى أن توفى فى ١٥٢٤.

وخلفه على العرش ابنه: شاه طهماسب (١٥٢٤ - ١٥٧٦) وهو فى العاشرة والنصف من عمره، فاندلعت حروب أهلية طوال العشر سنوات الأولى من حكمه بين الفئات المتنافسة

من القزلباش، فاعتصب سلطة الشاه رؤساء القزلباش وصاروا هم الحكام الحقيقيون في إيران، لكن طهماسب، تحرك عام ١٥٣٣ وفرض سلطانه على زعماء القزلباش، واستطاع أن يقف ضد مطامع العثمانيين بقيادة سليمان القانوني. وضد مطامع الأوزبك في وسط آسيا وقد هاجموا خراسان خمس مرات بين سنة ٩٣٠ و ٩٤٤ هـ وبعد أن استولى العثمانيون على بغداد عام ١٥٣٤ وعلى سائر العراق العربي، واحتلوا تبريز عدة مرات نقل طهماسب عاصمته من تبريز إلى قزوین، ثم عقدت هدنة بين طهماسب وبين العثمانيين في أمسيا كفلت لإيران عدم تعرض العثمانيين لها لمدة ثلاثين سنة.

### شاه عباس الأول

وبعد وفاة طهماسب في سنة ١٥٦٧ تولى الملك إسماعيل الثاني (١٥٧٦ - ١٥٧٧)، وخلفه بعد ذلك بعام السلطان محمد شاه (١٥٧٨ - ١٥٨٨) وتلاه شاه عباس الأول (١٥٨٨ - ١٦٢٩) وبعد عهده أزهى عهود إيران الحديثة.

لقد وجد نفسه بين خصمين خطيرين هما: العثمانيون من الغرب. والأوزبك من الشرق. فبدأ بأن ترصّى الأقوى، وهم العثمانيون، فعقد معهم معاهدة مهيمنة لإيران إذ تخلت بموجبها للدولة العثمانية عن مساحات واسعة من إيران. وبعد ذلك عمل على تكوين جيش قوى من عناصر أخرى غير القزلباش، عناصر من الجورجيين والجرکس، وسَمّى هذا الجيش باسم «غلامان خاصة شريفه»: وقد تألف هذا الجيش من عشرة آلاف من الفرسان، ومن حرس خاص مؤلف من ثلاثة آلاف رجل؛ وفرقة من حملة البنادق مؤلفة من ١٢٠٠٠ جندي من الفلاحين الإيرانيين؛ وفرقة مدفعية من ١٢٠٠٠ جندي أيضا. لكنه لم يجرؤ على استخدام هذا الجيش ضد الأوزبك إلا في سنة ١٥٩٨ وقد انتصر عليهم انتصارا كبيرا قرب مدينة هرات التي كان الأوزبك قد استولوا عليها قبل ذلك بعشر سنوات. فلما أُنّ جبهته الشرقية، انصرف إلى الجبهة الغربية فهاجم العثمانيين واستطاع عام ١٦٠٧ طرد آخر جندي عثماني في إيران بحسب حدودها التي صدرت في معاهدة أمسيا سنة ١٥٥٥ بين إيران والدولة العثمانية.

وقد نقل شاه عباس عاصمة مملكته من قزوین إلى أصفهان عام ١٥٩٨ ومالبت أن جعل منها عاصمة من أجمل عواصم الدنيا، ومن هنا جاءت العبارة: «أصفهان فيم جهان» (أصفهان نصف الدنيا). فأمر ببناء مدارس ومساجد وخانات وحمامات، وأروع هذه

المباني: مسجد شاه، الذي بدئ به فى سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١. ومسجد شيخ لطف الله، الذى بدئ به فى سنة ١٠١٢ هـ / ١٦٠٣م، ويقومان على ميدان هو من أجمل الميادين، ويسمى «نقش جهان» (صورة الدنيا) وبلغت سائر الفنون أوجها فى عهد شاه عباس. واستمر حكمه ٤٤ سنة عزز خلالها سلطة الأسرة الصفوية بطرد القوات العثمانية والأوزبكية من الأراضى الفارسية.

وهو الحاكم الفارسى الذى رعى التجارة والفنون حتى بلغت المنجزات الفنية فى عهده أعلى مستوياتها فى تاريخ إيران.

كان عباس الأول (وقد عرف أيضا باسم عباس الكبير) الابن الثالث للسلطان محمد شاه، ولد فى ٢٧ كانون الثانى (يناير) سنة ١٥٧١، واعتلى عرش بلاد فارس سنة ١٥٨٨ فى فترة حرجة من تاريخ الأسرة الصفوية وكان حكم والده الكليل البصر ضعيفا مما أدى إلى تدخل شيوخ العشائر التركمانية التى جلبت الصفويين إلى الحكم وظلت تؤلف العمود الفقرى لقوة البلاد العسكرية كما أن الانقسامات بين تلك العشائر التى عرفت باسم القزلباشية قد أضعفت الدولة ومكنت أعداءها من الأتراك العثمانيين فى الغرب والأوزبك فى الشرق من شن غزوات متتالية على الأراضى الفارسية.

وقد وجد الشاه عباس لدى اعتلائه العرش أمامه مهمتين عاجلتين أولاهما إعادة سلطة الملكية والثانية طرد القوات العثمانية والأوزبكية من البلاد ولكنه أدرك أيضا عجزه عن القتال فى جبهتين فى آن واحد فوقع فى سنة ١٥٨٩ معاهدة صلح مع العثمانيين وبذلك أمن من خطرهم وأصبح حرا فى مهاجمة الأوزبك ولكنه مع ذلك لم يتمكن من شن هجوم كبير عليهم.

وعلى أثر ذلك قرر عباس تأليف جيش دائم وكان ذلك مفهوما جديدا فى ذلك العهد إذ كانت الجيوش تؤلف كلما دعت الحاجة إليها من فرسان العشائر، وأخيرا تمكن عباس من أن يبادر أعداءه بالهجوم وفى سنة ١٥٩٨ أوقع بالأوزبك هزيمة ساحقة واستعاد السيطرة على «خراسان» ثم قاد فى سنة ١٦٠٢ سلسلة من الحملات الناجحة على العثمانيين فاستعاد ما سبق لهم أن استولوا عليه من أراضيه وأخرجهم من تبريز وروان والعراق. وقد أظهر عباس تسامحا دينيا غير اعتيادى ومنح الجماعات المسيحية امتيازات كثيرة لم يتمتعوا بشيء منها فى السابق.

وقد شهد عهد عباس الأول أيضا نشاطا تجاريا ودبلوماسيا لم يسبق له مثيل وحاول البرتغاليون والهولنديون والانكليز السيطرة على تجارة الخليج والمحيط الهندي وقد سمى ميناء بندر عباس نسبة إليه.

ويمتاز عهد عباس أيضا بتشجيع الفنون والصناعات اليدوية وازدهارها وتحت رعايته أصبحت صناعة السجاد من أهم صناعات البلاد وصار يشاهد في قصور الأغنياء ليس في إيران وحدها بل في خارجها أيضا كما بلغ إنتاج المنسوجات الحريرية أرقى مستوياته وكذلك فن التصوير ونقل المخطوطات وتجليد الكتب وأشغال الخزف في ذلك العهد أصبحت جميعا من الفنون الإيرانية التي لا تضاهى.

لقد حكم الشاه عباس الأول بلاده بحماسة وتفان، وحرص على استتباب الأمن وسيادة العدل واختلط بالناس للتعرف إلى مظالمهم ومظاهر الفساد في الحكومة وكانت معاقبته للمتهمين بالظلم والفساد حاسمة وسريعة.

هذا هو الجانب المضي من حكم عباس أما الجانب المظلم فقد كان يتمثل في معاملته لأبنائه وأعضاء أسرته وكانت تجارب صباه ومحاولة عمه اعدامه قد تركت في نفسه أثرا العميقة وبعد أن كان يثق بأولاده وأقربائه في البداية ويعينهم حكاما وولاة صار يرتاب فيهم ويحتجزهم في الحرم وكان الخوف من الاغتيال مسيطرا على ذهنه وكلما زاد خوفه هذا ازداد اندفاعا في تقتيل من يشك في ولائه وسمل عيونهم وقد أعدم أحد أبنائه (وهو عمل ندم عليه ندما شديدا) وسمل عيون اثنين آخرين منهم وسجنهم<sup>(١)</sup>.

وبعد وفاة شاه عباس سنة ١٦٢٩ توالى ملوك ضعاف، مما أطمع جيران إيران فيها: ففي سنة ١٧٠٩م قام جماعة من الأفغان الغلزيين فاستولوا على قندهار، وكان الصفويون يحتلونها منذ سنة ١٦٤٨، وقام أفغان من العبادلة فنهبوا أجزاء واسعة من خراسان، وصارت الحدود الشرقية لإيران كلها مهددة، واستولى محمود زعيم الغلزيين الأفغان، على كرمان في سنة ١٧١٩، وبعد ذلك بعامين هزم جيشا صفويا في معركة جلنأبه. (على بعد ٣٠ كلم شرقي أصفهان) في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١١٣٤/ ٨ مارس ١٧٢٢. وحاصر أصفهان واستولى عليها الأفغان في أكتوبر سنة ١٧٢٢. ويقال أن ثمانين ألف قد هلكوا أثناء هذا الحصار من الجوع والأمراض.

(١) نجدة فتحي صفوة - جريدة الشرق الأوسط ١٦/ ١/ ١٩٩٤.

حكم الأفغان أصفهان طوال سبع سنوات ١٧٢٢ حتى سنة ١٧٢٩. ومن ناحية أخرى قام العثمانيون في سنة ١٧٢٦، فانتهكوا الهدنة بينهم وبين إيران والقائمة منذ سنة ١٦٣٩ وأرغموا الحاكم الأفغاني، واسمه أشرف، على الإقرار بالاحتلال العثماني الواقعي لأجزاء من غرب وشمال غرب إيران.

وهنا قام زعيم قبيلة افشار، ويدعى نادرخان، وطرد الأفغان من أصفهان في سنة ١٧٢٩، وأعاد حكم الصفويين في شخص طهماسب الثاني، لكن نادرخان ما لبث أن استغل النصر لنفسه، فعزل طهماسب الثاني سنة ١٧٣٢ لصالح عباس الثالث وكان قاصرا فتولى هو الوصاية عليه، وبعد ذلك بأربع سنوات تولى هو الملك باسم: نادر شاه، وهكذا زالت الدولة الصفوية في سنة ١٧٣٦م.

وتولى نادر شاه حكم إيران من سنة ١٧٣٦ إلى ١٧٤٧، فكان جنديا شجاعا قديرا استطاع أن يسترد لإيران الأراضي الإيرانية التي استولى عليها العثمانيون والروس والأفغان، وأعاد روسيا: باكو. ودريند واستولى على قندهار في مارس سنة ١٧٣٨. واحتل غزنة في يونيو، ودخل تمسار، ووجه حملة إلى المغل في الهند ودخل دلهي في ٢٠ مارس ١٧٣٩؛ وعاد إلى إيران بعد أن فرض على إمبراطور المغل جزية ضخمة مقدارها عشرون مليون روبية. وغنم عرش الطاووس والماسة الشهيرة: كوهي نور، وتنازل له إمبراطور المغل - ويدعى آنذاك محمد شاه - عن كل الأراضي الواقعة غربى نهر السند، وفي طريق عودته غزا جيش نادر شاه التركستان وبلاد ما وراء النهر وخوارزم. ومن أجل هذه الفتوحات في الشرق نقل نادر شاه عاصمته من أصفهان إلى مشهد.

لكنه كان شديد البخل: إذ احتفظ بالغنائم التي حصل عليها من حملته في الهند في خزانة خاصة بقلعة نادري في خراسان، ولم ينفق منها على الجند ولا على الرعية، وإنما فرض الضرائب الباهظة على الرعية لينفق من حصيلتها على مغامراته الحربية؛ ولهذا كرهه الجند كما كرهته الرعية. فقامت جماعة من ضباطه باغتياله في أول جمادى الثانية سنة ١١٦٠ هـ/ ١٠ يونيو سنة ١٧٤٧.

فلما قتل انتشرت الفوضى العارمة، وقامت أسيرة زند بتولى الحكم في جنوبى إيران وكان من أكبر رجالها: كريم خان زند. لكن بعد وفاته في سنة ١٧٧٩ قامت الخلافات الداخلية بين أسرة زند، مما أغرى أسرة قاجار، التي كانت قد استبدت بالحكم في شمالي

إيران وكانت عاصمتها هي أسترآباد بالزحف على بلاد أسرة زند، وكان آقا محمد خان قاجار قد هرب من شيراز حيث كان الزند قد أسروه. وقاموا أولا بالتمكين لنفسه بين أسرة قاجار، ثم سار إلى الزند فانتصر عليهم في سنة ١٧٩٥ م.

وأول سلاطين القاجار هو آقا محمد شاه. وقد جعل عاصمة ملكه طهران. ومن ثم صارت طهران لأول مرة في تاريخ إيران عاصمة لإيران، واستطاع أن يركز الإدارة فيها. وبذلك صارت في إيران إدارة مركزية قوية، وكان قاسيا مع خصومه، ففضى عليهم دون رحمة، وكان غدارا حقودا. لهذا اغتيل في ٢١ ذى الحجة سنة ١٢١١/١٧ يونيو سنة ١٧٩٧ ولم يمض على تتويجه غير عامين اثنين: إذ قتله اثنان من جنوده. وتولى الملك بعده ابن أخيه: فتح علي شاه. وأسند السلطان قيادة جيوشه لولي عهده عباس ميرزا المولود في شهر سبتمبر عام ١٧٨٩ في مدينة ناوة بإيران.

وبالرغم من أنه لم يكن أكبر أولاده إلا أنه سماه وليا للعهد، وعينه حاكما لولاية أذربيجان في ١٧٩٨ وكان عباس ميرزا أول من أدخل الأساليب الأوروبية العسكرية بلاده.

وكان هناك في عهد فتح علي شاه تنافس شديد بين فرنسا وبريطانيا وروسيا على «النفوذ والمصالح في الشرق ومؤامرات ومناورات تقوم بها الدول الأوروبية للسيطرة على إيران واشتباك فتح علي شاه في حرب مع روسيا في سنة ١٨٠٤ بشأن السيادة على جورجيا (كرجستان) وكان حاكما قد غير ولاءه من إيران إلى روسيا وكانت القوات الإيرانية المؤلفة من ٣٠,٠٠٠ مقاتل خلال تلك الحرب التي دارت حوال تسع سنوات (١٨٠٤ - ١٨١٣) قد أسفرت تلك الحرب خسارة إيران معظم أراضيها في كرجستان وأدرك عباس ميرزا ضرورة إصلاح الجيش الإيراني القاجارى وإدخال الأساليب العصرية عليه.

بدأ عباس ميرزا هذه العملية بإيفاد عدد من الطلاب الإيرانيين إلى أوروبا للاطلاع على الأساليب العسكرية الأوروبية وتعملها وقد ذهبت أوروبا للاطلاع على الأساليب العسكرية الأوروبية وتعملها وقد ذهبت المجموعة الأولى منهم إلى إنجلترا في سنة ١٨١١، ثم أعقبهم مجموعة ثانية في سنة ١٨١٥.

وفي سنة ١٨١٢ أسس ميرزا علي في مدينة تبريز عاصمة أذربيجان «مطبعة»، وشجع ترجمة الكتب العسكرية الأوروبية وطبعها كما أسس في المدينة نفسها مصنعا للبارود ومسبكا لصنع المدافع.

واستقدم إلى إيران عددا من المستشارين العسكريين البريطانيين وعهد إليهم بتدريس الضباط الإيرانيين الفنون العسكرية لمجموعات المدفعية ووسائل التعاون بين المدفعية والمشاة ونتيجة ذلك برز الجيش الإيراني في الحملات التي شنّها على الأتراك العثمانيين بين سنتي ١٨٢١ و ١٨٢٣ وإن لم تنته الحرب لصالح الإيرانيين أيضا.

ثم نشبت الحرب مع روسيا مرة أخرى في سنة ١٨٢٦ إذ استغل فتح علي شاه وفاة القيصر الروسي الكساندر الأول وانشغال البلاد بذلك لشن الحرب على روسيا مرة أخرى، وتحالف مع إنجلترا ضدها، وتولى عباس ميرزا قيادة القوات الإيرانية أيضا، واستطاع خلال السنة الأولى من الحرب أن يستعيد جميع الأراضي التي خسرتها إيران في الحرب السابقة وكان جيشه وخاصة سلاح المدفعية يضاهاى الجيش الروسى فى تنظيمه وقوته بل يكاد يكون متفوقا عليه ومع ذلك فإن التفوق العددي الروسى والانضباط العسكرى الصارم إضافة إلى رفض فتح علي شاه تعزيز قوات عباس ميرزا وتعويض خسائره بعناد، طالبا إليه الاكتفاء بما لديه، كل ذلك أدى إلى هزيمة القوات الإيرانية بصورة مأساوية، ولما توقف القتال فى سنة ١٨٢٨ كانت إيران قد فقدت جميع أراضيها فى منطقتى كرجستان والقفقاس.

كان وقع هذه الهزيمة على عباس ميرزا عظيما، فأصيب بخيبة دبرى. وفقد اهتمامه بالاصلاحات العسكرية وقضى السنوات الخمس الأخيرة من حياته فى المحافظة على مكانته كولى للعهد وفى منازعات متنوعة مع إخوته. وقد تدهورت صحته مثل تدهور معنوياته وبينما كان يقود حملة تأديبية ضد بعض العصاة فى خراسان قتل سنة ١٨٣٣، وكان عند مقتله فى الرابعة والأربعين من عمره<sup>(١)</sup>.

ولقد كانت الدول الأوروبية الاستعمارية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر تحاول التدخل فى شؤون إيران، خصوصا روسيا وإنجلترا، وكان التنافس بين هاتين الدولتين مستمرا. لكنه بلغ أوجه ابتداء من سنة ١٨٠٠، فى عهد فتح علي شاه، فقد ضمت روسيا لنفسها مقاطعة جورجيا فى سنة ١٨٠٠ وكانت تابعة لإيران، فدعا ذلك فتح علي شاه للاستنجد بنبابليون بونابرت وعقد معه معاهدة فنكنشتين Finkenestein فى مايو سنة ١٨٠٧، وتقضى المادة الرابعة منها بأن تلتزم فرنسا بإعادة جورجيا إلى إيران، وفى مقابل ذلك تعهد فتح علي شاه بإعلان الحرب على إنجلترا (المادة ٨)؛ وبالسماح للجيش الفرنسى بأنمرور عبر إيران لغزو الهند، وكان ذلك من خطط نابليون الكبرى، لكن هذه المعاهدة صارت غير ذات موضوع عندما وقعت فرنسا مع روسيا معاهدة تلسيت Tilsitt فى

(١) نجدة فتحى صفوة - جريدة الشرق الأوسط ٢٥ / ١٠ / ١٩٩٥.

٢ يوليو سنة ١٨٠٧ . وبمقتضاها توقف العدوان بين فرنسا وروسيا . وبذلك صارت روسيا مطلقاً اليد ، فاعتدت على إيران وأرغمتها بموجب معاهدة جُلستان (١٢ أكتوبر سنة ١٨١٣) على التخلي لها عن كل مقاطعات القوقاز . وأصبح للأسطول الروسى وحده الحق فى العمل فى بحر الخزر ، ثم وقع حادث على الحدود بين إيران وروسيا اتخذته روسيا ذريعة لإعلان الحرب ضد إيران فى سنة ١٨٢٦ ، وانتهت هذه الحرب بمعاهدة تركمانجاي (٢٢ فبراير سنة ١٨٢٨) وبموجبها فرضت على إيران شروطاً فى غاية القسوة : إذ تنازلت لروسيا عن أريقان ونخشوان ، وصارت الحدود بين الدولتين على الأراكس ، وكان على إيران دفع تعويض فادح . وأهم من ذلك منح الروس «امتيازات» بموجبها يتمتع الروس المقيمون فى إيران بامتياز عدم المحاكمة أمام المحاكم الإيرانية . فكانت هذه «الامتيازات» من أكبر البلايا على السيادة الإيرانية فى إيران نفسها ، إذ سرعان ما طالبت انجلترا بالحصول لرعاياها على «امتيازات» مماثلة ومن هذا التاريخ - أى سنة ١٨٢٨ - صار تدخل الدول الأوروبية فى إيران تدخلاً سافراً كاسحاً مدمراً لكل مقومات إيران القومية . حتى صارت نهبا لتنافس الدول الاستعمارية خصوصاً روسيا وانجلترا .

وتوفى فتح على شاه فى سنة ١٨٣٤ وخلفه حفيده محمد شاه . فحاول أن يسترد الأراضى الشرقية التى استولى عليها الأفغان ، لكن انجلترا هبت لمساعدة الأفغان . فاضطر محمد شاه إلى فك الحصار على هرات . ذلك أن انجلترا من أجل حماية الهند جعلت من سياستها الإبقاء على أفغانستان دولة حاجزة بين امبراطوريتها فى الهند وبين إيران وروسيا من ناحية أخرى ، وأرسلت انجلترا فى سنة ١٨٣٧ وسنة ١٨٥٢ وسنة ١٨٥٦ جيشاً من قواتها فى الهند للدفاع عن هرات . وانتهى الأمر بأن اضطرت إيران فى سنة ١٨٥٦ إلى الاعتراف باستقلال أفغانستان والتخلي نهائياً عن مدينة هرات لأفغانستان .

### الفتنة البابية

وفى عهد محمد شاه وقعت فتنة البابية : إذ ادعى سيد على محمد ولد فى شيراز فى أول المحرم سنة ١٢٣٥ هـ / ٢٠ أكتوبر سنة ١٨١٩ ، أو فى ٩ أكتوبر سنة ١٨٢٠ بحسب رواية أخرى . وادعى فى صيف ١٨٤٤ أنه «الباب» أنه «المنهدى» وأنه «صاحب الزمان» الذى ينتظره الشيعة ليملأ الدنيا عدلاً بعد أن ملئت جوراً ، وأخذ هذا «الباب» فى الهجوم العنيف على المجتهدين «والملاى» ، واستطاع أن يجتذب إليه الأتباع . وسافر إلى مكة للحج ، ويقال إنه أعلن هناك أنه «المنهدى» . وفى ربيع سنة ١٨٤٥ عاد إلى شيراز . وكان قد كتب

وهو فى مكة كتابا عنوانه «صحيفة بين الحرمين» بين فيه أركان دعوته . وبهذا الكتاب وبالخطب التى راح يلقيها فى مساجد شيراز آثار الفتن والاضطرابات فى مدينة شيراز . فقبض على هؤلاء الدعاة وأحضروا أمام والى شيراز ، واسمه ميرزا حسين خان أجودان باش . فعاقبهم عقابا شديدا وأمر بطردهم من شيراز . وأرسل السلطان محمد شاه مبعوثا يدعى سيد يحيى دارابى للتحقيق فى الأمر ، فاجتذبه الباب . وصار من أتباع الدعوة .

وفى تلك الأثناء ، كان قد اعتنق هذه الدعوة الجديدة فى طهران أخوان هما : ميرزا حسين على نورى (الذى سيصبح فى المستقبل باسم : بهاء الله) وأخوه ميرزا يحيى نورى (وسيصبح فى المستقبل باسم : صبح الأزل) بعد أن التقيا يملا حسين . وهذان الأخوان هما اللذان سيؤسسان ديانة البهائية .

وبعد أن كان أتباع الباب يعتمدون التقية والكتمان . أخذوا منذ سنة ١٨٤٨ فى الإعلان عن أنفسهم وبانفصالهم عن الإسلام ، وعقدوا اجتماعا فى بدشت . واشتركت فى هذا الاجتماع سيدة جميلة شاعرة اسمها زرين تاج ولقبت بلقب ستشستر به فيما بعد وهو «قرة العين» كما لقبوها بلقب «جناب طاهرة» وكانت قد ولدت فى قزوین وأبوها كان هو الملا صالح . أحد رجال الدين . واشترك فى هذا الاجتماع كذلك : بهاء الله . وملا حسين البشرونى .

وفى سنة ١٨٤٨ تولى العرش ناصر الدين شاه ، واستمر فى الحكم حتى اغتيل فى سنة ١٨٩٦ . وقد أرسل قوة لهاجمة هؤلاء المجتمعين . الذين تحصنوا فى ضريح الشيخ الطبرسى بالقرب من بارفروس . وقاوموا بقوة . فقتل ملا حسين . واستسلم الباقون فذبحوا عن بكرة أبيهم فى رمضان سنة ١٢٦٥ هـ / يوليو أغسطس سنة ١٨٤٩ .

وبعد ذلك بقليل قام البابيون ، فى مدينة تبريز بإقليم فارس . بفتنة قادها سيد دارابى . وكان يلقب بـ «وحيد» وتحصن البابية فى القلعة القديمة بمدينة تبريز ، لكنهم ذبحوا جميعا بعد عدة أيام ، فى يناير سنة ١٨٥٠ . كذلك قامت فى مدينة زنجان (فى شمال غربى إيران) فتنة أخرى أكبر . تزعم البابية فيها ملا محمد على الزنجانى . الملقب بـ «الحجة» وتحصنوا فى قلعة على مردان خان . وكان عددهم حوالى ثلاثة آلاف . فتمكن جيش السلطان من ذبحهم جميعا فى فبراير سنة ١٨٥٠ .

وفى طهران ، قبل إعدام الباب بأربعة أشهر ، قتل فى طهران سبعة من أتباعه . أحدهم هو عم الباب .

وحاول اثنان من البابية الاعتداء على شاه ناصر الدين في شوال سنة ١٢٦٨ هـ / ١٥ أغسطس سنة ١٨٥٢)، ولكن المحاولة أخفقت. وأدى ذلك إلى قتل العديد من البابية، وبينهم الشاعر السابقة الذكر الملقبة بـ «قرة العين» إذ سجنتم ثم خنقت ودليت في بئر لا يزال الناس يزورنه حتى اليوم.

أما الأخوان غير الشقيقين: ميرزا حسين علي نوري (بهاء الله) وميرزا يحيى نوري (صبح الأزل) فنفيًا إلى العراق.

أما الباب نفسه، سيد علي محمد، فقد لجأ إلى أصفهان في حماية حاكمها منوچهر خان معتمد الدولة، وهو من جورجيا، فلما مات منوچهر استدعى الوزير حاجي ميرزا أغاسي «الباب» إلى طهران. لكنه قبل وصوله إلى طهران قبض عليه وأرسل سجينًا إلى حصن ماخو في جبال أذربيجان، في صيف سنة ١٨٤٧. وبعد اندلاع اضطرابات البابية نقل إلى سجن أشدورص جهريق. ثم نقل في يوليو سنة ١٨٤٧ إلى تبريز ليحاكم أمام لجنة من المجتهدين، ورأى الوزير ميرزا تقى خان، الذي عينه ناصر الدين شاه، أن في قتل «الباب» قضاء على الفتن. وأصدرت لجنة المجتهدين المذكورة قرارًا بإعدام الباب، فتم إعدامه رميًا بالرصاص في نهاية شهر شعبان ١٢٦٦ هـ / يوليو سنة ١٨٥٠ في تبريز، وأعدمهم معه أحد أتباعه هو: ملا محمد علي اليزدي: إذ ربطا معًا بحبل في عمود بثكنة تبريز، ورميا بالرصاص. والكتاب الرئيسي الذي سجل فيه «الباب» عقيدته عنوانه: «البيان»، وله نسختان: عربية موجزة جدًا، وفارسية مطولة.

والعقيدة البابية تقوم على أربع قواعد:

١ - نسخ الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بالصلاة، والصوم، والزواج، والطلاق، والميراث مع الإقرار بنبوّة محمد ﷺ، وقد ختم دور نبوته في سنة ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤ م وهي سنة إعلان «الباب» لدعوته.

٢ - تأويل الألفاظ المتعلقة بالآخرة تأويلًا روحانيًا خالصًا، مثل الجنة، النار، الموت، البعث، النشور، الميزان، الصراط، الساعة، ألخ على أساس أنها لا تتعلق بنهاية هذا العالم المادي، بل بنهاية دور النبوة. ذلك أن الله يقنى العالم المادي عند نهاية كل دور نبوة، ثم يخلقه من جديد بكلمة النبي التالي.

٣ - وضع نظم وشعائر جديدة: فالقبلة ليست نحو مكة، بل نحو مقام «الباب»؛ تشريع جديد للمواريث، إلخ.

٤ - انتظار «من يُظهره الله».

وللعدد ١٩ قداصة خاصة عند البابية: فالسنة تنقسم إلى ١٩ شهرا، وكل شهر يتكون من ١٩ يوما. وكل ١٩ يوما يجب على الباب أن يستضيف ١٩ شخصا حتى لو لم يستطع أن يقدم إليهم أكوابا من الماء. والقاتل يعاقب بالامتناع عن الجماع ١٩ سنة. ولا يجوز للبابي أن يحوز من الكتب أكثر من ١٩ كتابا.

### ناصر الدين شاه والاحتكارات الأجنبية

ونعود إلى ناصر الدين شاه، الذى تولى حكم إيران فى سنة ١٨٤٨ واستمر فى الحكم حتى اغتيل فى سنة ١٨٩٦. فنقول إنه حاول الحد من تدخل الروس فى شؤون إيران والعدوان على أراضيها، لكن دون جدوى. إذ ازداد الروس عدوانا على إيران: فاستولوا على طشقند فى سنة ١٨٦٥، وقضوا على خانت خوقند؛ وفى سنة ١٨٢٦ استولوا على بخارى. ومن قاعدتهم الجديدة فى كرسنوفو دسك على الشاطئ الشرقى لبحر الخزر تقدموا تدريجيا نحو آسيا الوسطى. وفى سنة ١٨٧٣ قضوا على خانت خيوة؛ وفى سنة ١٨٨١ أخضعوا قبائل التركمان وهزمهم هزيمة ساحقة فى معركة جوك تبه Gok Tepe. وفى سنة ١٨٨٤ فرغوا من غزو ما وراء بحر الخزر باستيلائهم على مره. وصارت الحدود الجديدة بين روسيا وإيران عند أترك.

ولكى يصلح الأحوال الاقتصادية فى إيران اعتمد ناصر الدين شاه سياسة خطيرة حمقاء جلبت على بلاده بلايا مادية فادحة، إذ أخذ فى منح الدول الأوروبية امتيازات للاحتكار الاقتصادى. ونتيجة ذلك كانت غالبية الموارد الاقتصادية لإيران، عند نهاية القرن التاسع عشر، احتكارات للدول الأوروبية تستغلها لصالحها، وكل ذلك فى مقابل مبالغ ضئيلة تدفع لإيران لتلبية حاجات الشاه المباشرة. فمثلا فى سنة ١٨٧٢ منح أحد البريطانيين، ويدعى البارون جوليوس دى رويتر Juluis de Reuter الحق الوحيد فى استغلال كل المعادن فى إيران «باستثناء الذهب والأحجار الكريمة»، وبناء المصانع وتشبيد السكك الحديدية. وحفر الترع والقنوات وسائر وسائل الري، واستغلال الغابات، وإنشاء بنك وطنى، وإنشاء شبكة للتلغراف، ومراقبة الجمارك، فتدخل الروس وضغطوا على الشاه ضغطا حملا على إلغاء الامتياز الذى حصل عليه جوليوس دى رويتر، لكنه اضطر إلى تعويضه عن هذا الإلغاء بالإذن له بإنشاء البنك الإمبراطورى لإيران فى سنة ١٨٨٩. بيد أن الروس حصلوا على امتياز شامل، هو إنشاء بنك للإقراض.

وفي سنة ١٨٩٠ منح احتكار التبغ لشركة بريطانية. وهنا. وبتحريض من جمال الدين الأفغاني، أصدر المجتهد الأكبر في سامرا فتوى بتحريم تدخين التبغ إلى أن يرجع الشاه عن قراره هذا. وقام المجتهدون والملاوات فنظموا مظاهرات في شيراز، وأصفهان، وتبريز ضد منح احتكار التبغ لشركة بريطانية. وإزاء هذه الحركة العظيمة اضطر ناصر الدين شاه إلى إلغاء الامتياز المذكور، وفي ديسمبر سنة ١٨٩١.. وكان لذلك أثر بالغ في الأحوال السياسية في إيران. فأول مرة في تاريخ إيران الحديثة يخضع الشاه للرأى العام. والذي تولى تحريك الرأى العام هم رجال الدين. ومن هنا بدأ النفوذ السياسى لطبقة رجال الدين في إيران، هذا النفوذ الذى سيتعاظم منذ ذلك الحين شيئاً فشيئاً حتى يستولون على السلطة فى مارس ١٩٧٩.

### الحركة الدستورية

وخلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر تألفت جمعيات (أنجمن) سياسية متأثرة بالأفكار السياسية فى أوروبا، وأشاعت جوا من التمرد على الفساد وعلى استفحال النفوذ الأجنبى، وراح أعضاؤها يطالبون بعزل الموظفين المرتشين والإداريين المستبدين. وطرده الأجاتب أصحاب الامتيازات. وأفضت هذه الحركة إلى التركيز على المطالبة، بوضع دستور (مشروطيت) لحكم البلاد.

فاضطر مظفر الدين على شاه. الذى تولى الحكم بعد مصرع ناصر الدين شاه فى سنة ١٨٩٦: إلى إصدار الدستور فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٦. واجتمع أول برلمان (مجلس شورای ملى) قبل ذلك بثلاثة أشهر، أعنى فى ٧ أكتوبر سنة ١٩٠٦. لكن خلفه، محمد على شاه، حاول بكل الطرق تعويق تطبيق الدستور، ومنع تنفيذ القوانين التى أقرها مجلس شورای.

وكان مجلس شورای ملى (البرلمان) مؤلفاً من ١٥٦ عضواً، منهم ٦٠ عن طهران، و ٩٦ عن سائر المحافظات. وكان الانتخاب عن دوائر طهران بالاقتراع المباشر. أمّا فى سائر المحافظات فقد كان يتم على درجتين بواسطة هيئات ناخبين.

والدستور الذى صدر فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٦ كان يحتوى على ٥١ مادة تتعلق كلها بتكوين مجلس النواب (مجلس شورای ملى) ومجلس الشيوخ وواجباتهما. وهذا ليس دستورا بمعنى الكلمة. لهذا كان لابد من إكماله بدستور متمم صوت عليه مجلس شورای

ملئى وأصدره محمد على شاه فى ٢٩ شعبان سنة ١٣٢٥ / ٧ أكتوبر سنة ١٩٠٧. وهذا الدستور المتمم كان يحتوى على ١٠٧ مواد تتناول حقوق الشعب الفارسى، وسلطات الشاه، وحقوق أعضاء البرلمان، وحقوق العرش، وسلطات الوزراء، واختصاصات المحاكم، وتنظيم مالية الدولة، والجيش.

وتوفى مظفر الدين على شاه فى يناير سنة ١٩٠٧، وبوفاته انتهت المرحلة الأولى من الثورة الدستورية فى إيران. (مشروطيت) وهى مرحلة تمت دون إراقة دماء تقريباً. ثم بدأت المرحلة الثانية من الثورة الدستورية مع تولى محمد على شاه الحكم فى ٨ يناير سنة ١٩٠٧، إذ كان يعارض هو ووزراؤه تطبيق الدستور. وكان «المجلس» يعارض اقتراض أية مبالغ جديدة من الدول الأجنبية، وكذلك قرر طرد البلجيكيين من إدارة الجمارك، وتم للمجلس ما أراد. كذلك قرر المجلس عدة قرارات تتعلق بالإصلاحات المالية، وأصدر قانوناً يقضى بأن تسترد الدولة كل الأراضى التى كانت فى حيازة أصحابها على أساس نظام «تيول». وفى الوقت نفسه تشكلت عدة جمعيات (أنجمن) فى طهران وسائر المحافظات للدفاع عن الدستور. ولما عين الشاه فى ٢ مايو سنة ١٩٠٧ ميرزا على أصغر خان أمين السلطان رئيساً للوزراء اشتد الصراع بين الشاه والوطنيين. وعلى أثر ذلك شبت اضطرابات فى البلاد، كان بعضها بتحريض من الشاه وأنصاره هم أنفسهم لخلق الفرصة للبطش بالدستور والمدافعين عنه. وهنا غزت تركيا شمال غربى إيران، واتهمت روسيا بالتواطؤ مع الشاه ضد الدستور والشعب الإيرانى. واستقر فى أذهان الناس وجود مؤامرة تواطأ فيها الشاه ورئيس وزرائه أمين السلطان مع روسيا ضد مجلس شورى ملئى. وفى ٣١ أغسطس سنة ١٩٠٧ اغتيل أمين السلطان بواسطة عضو فى إحدى الجمعيات الشعبية. وضعفت سلطة الدولة فى الأقاليم، وقامت مجالس إقليمية (أنجمنهان أيلتى وولايتى) فى أقاليم عديدة تولت هى إدارة الإقليم.

وفى ٧ أكتوبر سنة ١٩٠٧ اضطر الشاه إلى إصدار الدستور المتمم، وفى ١٢ نوفمبر مثل أمام البرلمان وأقسم يمين الولاء للدستور، وذلك للمرة الرابعة!! لكنه فى ١٥ ديسمبر حاول القيام بانقلاب، وقبض على رئيس الوزراء: ناصر الملك ووزراء آخرين. فاتحدت الجمعيات الشعبية فى طهران والأقاليم للدفاع عن الدستور ومجلس شورى ملئى.

وإزدادت العلاقات سوءاً بين الشاه وبين الشعب ممثلاً فى المجلس النيابى وفى الجمعيات المحلية، حتى قامت الحرب فى ٢٣ يونيو سنة ١٩٠٨ بين القوات العسكرية الموالية للشاه وبين الوطنيين. وقبضت قوات الشاه على ثلاثين من كبار الزعماء الوطنيين،

وخنق اثنان منهم دون محاكمة في ٢٤ يونيو سنة ١٩٠٨. وفي ٢٧ يونيو أصدر الشاه قرارا بحل البرلمان وإلغاء الدستور بزعم أنه مخالف للشريعة الإسلامية (!!) وبهذا انتهت المرحلة الثانية من الثورة الدستورية في إيران.

فاندلعت الثورة في طهران، ثم في تبريز، وطردت قوات شاه منهما، واستمرت المقاومة حتى أبريل سنة ١٩٠٩، إلى أن تدخلت الجيوش الروسية بدعوى حماية أرواح وأموال الأجانب!!.

لكن الوطنيين لم يسكتوا، ونظموا قواتهم تحت قيادة سردار أسد، وكانوا من قبيلة بختيار، وتكون جيش آخر في رشت بقيادة سيه دار أعظم محمد ولي خان، وزحفوا على طهران ودخلوها في يوليو سنة ١٩٠٩. فهرب الشاه محمد علي شاه واحتفى بالسفارة الروسية في طهران، وعقد اجتماع قرر عزل محمد علي شاه وتولية ابنه: سلطان أحمد. وكان لا يزال قاصرا، فوضع له مجلس وصاية على العرش. وفي ٩ سبتمبر وصل الشاه المخلوع - محمد علي شاه - إلى كييف في روسيا.

وأجريت انتخابات تشريعية في ٥ ديسمبر سنة ١٩٠٩، تم بموجبها انتخاب مجلس تشريعي هو الثاني. ولما كانت الخزانة خاوية اقترح عمل قرض انجليزي روسي، لكن البرلمان رفضه في سنة ١٩١٠ لأن شروطه تتناقض مع استقلال البلاد، لكن المجلس اتخذ قرارا بالاستعانة بمستشارين أجانب لتنظيم مالية البلاد. وفي سنة ١٩١١ استعين بخبراء أمريكيين للمالية، وخبراء سويديين للشرطة ووصل الخبير الأمريكي مورجن شوستر Morgan Shuster إلى طهران في مايو سنة ١٩١١ ومعه مساعدون قليل. وفي ١٣ يونيو سنة ١٩١١ أصدر البرلمان قانونا يمنح الخبير الأمريكي سلطات واسعة جدا.

وفي ١٧ يونيو سنة ١٩١١ وصل الشاه المخلوع فجأة إلى إيران، محاولا استرداد عرشه وفي نفس الوقت قام أخوه: سالار الدولة فأعلن العصيان في إقليم كردستان.

وكانت روسيا خائفة من استدعاء الخبير الأمريكي الذي لم يحفل بمطالبها في إيران. فانتهزت روسيا فرصة حادث نشأ عن مصادرة أملاك شجاع السلطنة - الأخ الأصغر للشاه المخلوع - بسبب تورطه في فتنة سالار أخيه، فتدخلت روسيا وطالبت باعتذار الحكومة الفارسية، وتلت ذلك بتقديم إنذار، في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١١، مدته ٤٨ ساعة، يطلب من الحكومة الفارسية طرد الخبير الأمريكي. وعدم الاستعانة بأجانب إلا بموافقة روسيا

وبريطانيا، وبدفع تعويض نفقات الحملة العسكرية التي زحفت بها روسيا من مدينة رشت. واحتجت إنجلترا لدى القيصر فى بطرسبرج على هذا الإنذار الذى لم تُستشر فيه. ورفض البرلمان هذا الإنذار الروسى. فتقدمت القوات الروسية والقوات الفارسية فى رشت. وأنزلى، وتيريز. ولما رأى الوصى على العرش، ناصر الملك، أنه لاقبل لإيران بمواجهة الجيش الروسى، اضطر إلى حل البرلمان فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٩١١. وعزل الخبير الأمريكى شوستر، وبذلك انتهت المرحلة الثالثة والأخيرة من الثورة الدستورية فى إيران. وعلّق الدستور، وظل معلقا حتى ٧ يوليو سنة ١٩١٤. حين افتتح الفصل التشريعى الثالث للبرلمان، لكنه ما لبث أن حُلّ فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٥ عندما زحفت الجيوش الروسية على قزوین، وترك معظم أعضائه طهران ولجأوا إلى مدينة «قم». وعلّق الدستور مرة أخرى.

ولم يعد البرلمان إلا فى سنة ١٩٢١. وابتداء من ذلك التاريخ صار البرلمان جزءا أساسيا من نظام الحكم فى إيران، ولم يحلّ إلا لفترة قصيرة فى سنة ١٩٥٣ عندما قام د. محمد مُصدق بحل المجلس. وفى إثره قام مجلس شورى ملّى جديد، استمر فى الوجود حتى سنة ١٩٦١ عندما أصدر الشاه محمد رضا بهلوى مرسوما امبراطوريا بحل المجلس وانتخاب مجلس جديد استمر حتى ١٩٧٩.

## دستور ١٩٠٦

وتجدر الإشارة إلى بعض البنود الرئيسية فى دستور سنة ١٩٠٦ والدستور المتمم فى سنة ١٩٠٧:

١ - تقضى المادة الأولى من الدستور المتمم بأن الدين الرسمى فى إيران هو الإسلام على مذهب الشيعة الاثنا عشرية، وبأن يكون الشاه مسلم الديانة على المذهب الشيعى الاثنا عشرى.

٢ - وتقضى المادة الثانية بأنه «لايجوز بأى حال من الأحوال وفى أى ظرف من الظروف أن يصدر البرلمان قانونا يتعارض مع المبادئ المقدسة للإسلام أو مع القوانين التى وضعها خير البشر (عليه وعلى آله السلام)، وتقضى نفس المادة بتشكيل لجنة من خمسة مجتهدين على الأقل «مهمتها النظر الدقيق فى كل الأمور المقترحة على البرلمان، ومن حقها أن ترفض أو تنبذ، كليا أو جزئيا، كل اقتراح يتعارض مع الشريعة المطهرة».

بحيث لا تتخذ صفة التشريع . وفي هذه الأمور تتبع وتنفذ قرار لجنة العلماء هذه . وهذه المادة يظل معمولاً بها دون أى تعديل إلى حين ظهور حجة الزمان (عجل الله فرجه) . وهذه المادة الخطرة هي التعبير الدستوري عمّا يسمى بـ «ولاية الفقيه» ، أى ولاية أهل الدين على القوانين التى تصدرها الدولة . وهكذا نرى أن ما قرره الانقلاب الإسلامى الجمهورى فى إيران سنة ١٩٧٩ ولا يزال معمولاً به إلى اليوم قد تقرر من قبل فى الدستور المتمم الصادر فى ٧ أكتوبر سنة ١٩٠٧ .

لكن إبان حكم رضا شاه وابنه محمد رضا شاه لم يعمل بهذه المادة .

٣ - وتقضى المادة ٢٧ من الدستور المتمم بأن «السلطة القضائية هي من اختصاص المحاكم الشرعية فى الشرعيات . ومن اختصاص المحاكم العدلية فى العرفيات» .

٤ - وتقضى المادة ٢٦ من الدستور المتمم بأن «سلطات الشاه كلها تصدر عن الشعب ، وأن الدستور ينظم استعمال هذه الحقوق» .

٥ - وتقول المادة ٣٥ إن «السيادة أمانة» هي بمثابة هبة إلهية أودعها الشعب فى يد الشاه» .

٦ - وتقضى المادة ٢٤ بأن «عقد المعاهدات والاتفاقات . ومنح الامتيازات التجارية . والصناعية والزراعية وغيرها سواء كان ذلك لمواطنين فارسيين أو لأجانب لا يتم إلا بموافقة مجلس شورى ملى . فيما عدا المعاهدات التى يجب أن تبقى سرية لأسباب تتعلق بأمن الدولة وللصالح العام» .

٧ - وتقضى المادة ٢٢ بأن «كل اقتراح بنقل أو بيع جزء من الموارد الوطنية أو إدارة الحكومة أو الحاكم يخضع لموافقة مجلس شورى ملى» .

٨ - والمادة ٢٧ من الدستور المتمم تقرر أن السلطة التشريعية هي من اختصاص الشاه ومجلس شورى ملى ومجلس الشيوخ «السيناه» ولكل حق اقتراح القوانين ، ولا يصبح قانوناً إلا إذا كان مطابقاً لقواعد الشريعة الإسلامية ، وحظى بموافقة كلا المجلسين (شورى ملى . والسيناه) ، ونال تصديق الشاه . أما إصدار القوانين الخاصة بالضرائب وبمصروفات المملكة فمن اختصاص مجلس شورى ملى وحده .

٩ - أما السلطة التنفيذية فمن اختصاص الشاه و «يمارسها الوزراء وموظفو الدولة باسم صاحب الجلالة الشاهانية وفقاً للشروط المنصوص عليها فى القانون» .

- ١٠ - الشاه هو الذى يعين الوزراء ويعفيهم من مناصبهم ، أما سائر الموظفين فى الدولة فيتم تعيينهم وعزلهم بحسب اللوائح التى تحدد ذلك .
- ١١ - الشاه هو الذى يصدر المراسيم والأوامر المنفذة للقوانين . لكن لا يجوز له أن يعلق تنفيذها أو أن يؤخرها بأى حال من الأحوال . كما لا يجوز له نقضها .
- ١٢ - الشاه هو القائد الأعلى لكل القوات العسكرية . وهو الذى يعلن الحرب . ويعقد الصلح (مادة ٥١) .
- ١٣ - القضاة والنائب العام يعينون بمرسوم شاهانى (مادة ٨٠ و ٨٣ من الدستور المتمم) . لكن المادة ٨١ تقضى بأنه لا يجوز عزل القضاة إلا بموافقتهم .
- ١٤ - ومن أهم اختصاصات المجلس النيابى تحديد ميزانية الدولة والموافقة عليها . وذلك فى المادة ١٨ من الدستور الأصلى . والمادة ٩٦ من الدستور المتمم .

### إيران والحرب العالمية الأولى

وتقاسمت روسيا وانجلترا النفوذ فى إيران بمقتضى اتفاق أعلن فى ٣١ أغسطس سنة ١٩٠٧ ، ف بموجب هذا الاتفاق قسمت إيران إلى منطقة نفوذ بريطانية ، ومنطقة نفوذ روسية ، وتفصل بينهما منطقة محايدة .

فلما قامت الحرب العالمية الأولى فى يوليو سنة ١٩١٤ صارت إيران . على الرغم من حيادها ، ساحة قتال بالنسبة إلى الجيوش التركية المتحالفة مع ألمانيا . والروسية ، والبريطانية . فعمت فيها الفوضى والقلق طوال مدة الحرب ، وغداة انتهائها أرادت بريطانيا أن تحكم قبضتها وحدها على إيران . فاقترح لورد كيرزون Lord Curzon عقد معاهدة بين بريطانيا وإيران ، وعقدت المعاهدة فى ٩ أغسطس سنة ١٩١٩ بين حكومة إيران والحكومة البريطانية . وكانت المعاهدة ترمى إلى بسط الحماية البريطانية على إيران كلها ، منتهزة فرصة انسحاب القوات الروسية بسبب أحداث الثورة الروسية . لكن الوطنيين الإيرانيين وكذلك الأمريكيين والفرنسيون عارضوا هذه المعاهدة . وثار الوطنيون فى مقاطعتى أذربيجان وجيلان ، وأعلنتن جيلان . فى مايو سنة ١٩٢٠ قيام جمهورية سوفيتية فيها . لهذا لم يتم التصديق على المعاهدة المذكورة .

بيد أن الإنجليز استطاعوا الحصول على الموافقة على إحلال ضباط فرس محل الضباط الروس فى فرقة «القوزاق» . وهى فرقة كان ناصر الدين شاه قد أنشأها فى الجيش الفارسى

في سنة ١٨٧٩ على غرار فرق القوزاق في الجيش الروسي، واستخدمها ناصر الدين شاه كحرس خاص له. وكانت إنجلترا تهدف من وراء ذلك إلى وضع حكومة في إيران تستند إلى الجيش، وتشرف إنجلترا عليها بطريق مباشر أو غير مباشر.

وخلال خريف سنة ١٩١٩ وشتاء ١٩٢٠-١٩٢١ اندلعت اضطرابات في منطقة طهران، وقامت مؤامرات عديدة دون نتيجة إلى أن قام سيد ضياء الدين بمساندة من العقيد رضا خان، وهو ضابط كبير في فرقة القوزاق. بمؤامرة نجحت في طهران في ٢٠ فبراير سنة ١٩٢١. وتم لهما الاستيلاء على الحكم. فاضطر الشاه أحمد إلى تعيين سيد ضياء الدين طباطبائي رئيسا للوزراء، وصار رضا خان وزيرا للحربية.

واستطاع سيد ضياء الدين طباطبائي عقد معاهدة مع روسيا، في ٢٦ فبراير سنة ١٩٢١، بموجبها تخلت روسيا عن كل الامتيازات في إيران التي كانت روسيا قد حصلت عليها من قبل عهد القياصرة. وفي مقابل ذلك أعطى لروسيا الحق في التدخل المسلح في إيران في الحالة التي تكون فيها سلامة روسيا مهددة بتدخل أجنبي في إيران. كذلك قررت المعاهدة ألا تمنح إيران امتيازات للتنقيب عن البترول في محافظات الشمال الخمس إلا لروسيا دون غيرها من الدول.

لكن سياسة سيد ضياء الدين ما لبثت أن اصطدمت بمصالح بعض الطبقات في داخل إيران وبعداوة بريطانيا، لهذا اضطرت إلى الاستقالة ومغادرة إيران. ولما يمض عليه في الحكم إلا ثلاثة أشهر. هنالك كلف الشاه قوام السلطنة بتولى الوزارة، وهو محافظ قديم لإقليم خراسان. فاعتمد قوام السلطنة على القوى التقليدية في إيران، ووقف حركة الإصلاح التي كان قد بدأها زين الدين طباطبائي. لكن بقي العقيد رضا خان وزيرا للحربية في الوزارة الجديدة. فقام رضا خان بإقرار النظام في البلاد، وبعث بقوات عسكرية لإخماد حركات العصيان والاضطرابات في أذربيجان، وجيلان، وخراسان، وأخذ انتفاضات الملوريين والقشقيبين، والعرب في الجنوب.

وإزاء نجاح العقيد رضا خان في إقرار النظام في البلاد وإخماد كل الفتن والتمردات، صار أكبر شخصية في إيران وفي ٢٨ أكتوبر ١٩٢٣ تولى رضا خان رئاسة الوزارة، وغادر الشاه أحمد إيران إلى أوروبا.

وقد ولد رضا خان في سنة ١٨٧٨ في قرية جبلية صغيرة بالقرب من بحر الخزر (البحر الكاسبي، بحر قزوين) لأسرة رقيقة الحال، وانخرط في فرقة القوزاق، حوالي سنة ١٩٠٠.

وخدم في هذه الفرقة في طهران، وهمدان، وكرمنشاه، واشترك في المعارك التي وقعت في طهران في عامي ١٩٠٨ و ١٩١١. وفي سنة ١٩٢١ صار وزيراً للحربية وكان برتبة كولنيل (عقيد).

وبعد أن صار رئيساً للوزراء في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٢٣ فكر في إعلان الجمهورية؛ لكنه اصطدم حينئذ بمعارضة الطبقات التقليدية المحافظة، خصوصاً رجال الدين وإزاء هذه المعارضة قام بمناورة بأن أعلن تخليه عن الحكم في أوائل سنة ١٩٢٥، هنالك قامت المظاهرات الشعبية العديدة، وقامت مسيرات من رجال الجيش، ومن بعض النواب. وإزاء هذا التأييد الشعبي والعسكري العام، عاد إلى طهران في فبراير سنة ١٩٢٥. وحصل من مجلس شورى ملى (البرلمان) على سلطات مطلقة تقريباً، وذلك بأغلبية ٩٣ صوتاً ضد ٧. وفي ذلك الوقت أعلن الشاه أحمد عن عودته إلى إيران وتظاهر من أجله أنصاره. فقرر رضا خان أن يفوت الفرصة عليهم، واستصدر من البرلمان قراراً بعزل الشاه أحمد ونفيه هو وأفراد أسرة القاجار. وعين رضا خان رئيساً لحكومة مؤقتة في ٣١ أكتوبر سنة ١٩٢٥. وفي ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٥ صار ملكاً على البلاد، وبهذا بدأت أسرة بهلوى تولى العرش في إيران.

## رضا شاه

وهكذا صار «العقيد» رضا خان الشاه الجديد في إيران ابتداءً من ١٢ ديسمبر سنة ١٩٢٥ واستمر على العرش حتى خلعه الحلفاء في ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤١ ووضعوا مكانه ابنه محمد رضا.

وفى إبان حكمه كان يستلهم جاره، مصطفى كمال أتاتورك مؤسس تركيا المعاصرة. فأراد أن يجعل من إيران دولة عصرية حديثة تسير النهضة العالمية، وتأخذ بأسباب التقدم الأوروبية:

- فقام أولاً بتنظيم القوات المسلحة، وكون أول جيش وطني دائم.
- ووحّد البلاد، وقضى على سلطة زعماء القبائل المحليين، ووضع لإدارة المحافظات ضباطاً من الجيش اتسموا بالضبط والربط، مع الحزم والقسوة؛ وفيما بين عامي ١٩٢١ و ١٩٤١ صارت ميزانية الجيش ثلث ميزانية الدولة.
- نظم الوظائف وفقاً للنظم الإدارية المتبعة في الدول الأوروبية.

□ أصلح النظام القضائي، وأصدر قانونا جنائيا فى سنة ١٩٢٦. وقانونا مدنيا فى سنة ١٩٢٨؛ وفى سنة ١٩٢٨ أيضا ألغى الامتيازات القضائية التى كان يتمتع بها الأجانب فى إيران. وكان طبيعيا، بسبب إصدار هذه القوانين الحديثة، أن يصطدم برجال الدين.

□ وفى ميدان التعليم ألغى نظام «المكاتب»، حيث كان التلميذ يتعلم فى قاعدة صغيرة (مكتب) على يد أخوند (رجل دين فى أدنى مراتب رجال الدين). وجعل التعليم إلزاميا للآبناء والبنات على السواء، والمناهج صارت عصرية تشمل العلوم الرياضية والطبيعية، إلى جانب العلوم اللغوية والدينية.

□ أنشأ جامعة طهران فى سنة ١٩٣٥.

□ وفى سنة ١٩٤٠ استولت الحكومة على كل مدارس الإرساليات الأجنبية وضمتهأ إلى وزارة المعارف، وصارت جزءا من مدارس الدولة.

□ أصدر فى سنة ١٩٣٥ قرارا بمنع المرأة من ارتداء الحجاب.

□ وفى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٤ أصدر مرسوما بمقتضاه أصبح اسم الدولة هو «إيران» بدلا من «فارس» لأن هذا الاسم الأخير قد صار رمزا لمهانة البلاد طوال القرنين السابقين.

□ وفى سنة ١٩٣٢ أعلن سحب كل الامتيازات الممنوحة لشركة البترول الإنجليزية الفارسية. وإزاء تهديدات بريطانيا، رفع الأمر إلى عتبة الأمم، وأخيرا تم الاتفاق فى سنة ١٩٣٣ وبموجب هذا الاتفاق زادت عائدات الحكومة الإيرانية من البترول الذى تستخرجه تلك الشركة، ونقصت مساحة الأراضى الممنوحة لاستغلال الشركة، وفى مقابل ذلك حصلت الشركة على تجديد امتيازها لمدة ستين سنة أخرى.

□ عمل على التقارب مع ألمانيا؛ وخصوصا بعد تولى هتلر الحكم فى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣، وصارت ألمانيا ذات المكانة الأولى بين الدول الأجنبية فى التعامل مع إيران. واستعان بمششرين عسكريين من الألمان. كما استعان بالشركات الصناعية الألمانية لإنشاء صناعة فى إيران. وقد بلغ عدد الخبراء الألمان فى إيران فى أغسطس سنة ١٩٤١ أكثر من ألفين. وبلغت تجارة إيران مع ألمانيا ٤٥٪ من مجموعة تجارة إيران مع الخارج.

□ أما فى علاقاته مع دول الشرق الأدنى والأوسط، فقد اعتمد سياسة الصداقة وحسن الجوار مع الجميع. ففى يوليو سنة ١٩٣٧ عقد مع العراق وأفغانستان وتركيا. ميثاق سعد آباد، وبموجبه تتعهد الدول الأربع بضمان حدودها وبالتضامن فى الدفاع عن كل

دولة منها إذا هوجمت من دولة أخرى؛ ومع مصر تجسدت العلاقات الحميمة بزواج ابنه ولي العهد محمد رضا من الأميرة فوزية أخت الملك فاروق، في سنة ١٩٣٩.

### محمد رضا شاه

قبل أن يبدأ الهجوم الألماني على روسيا في ٢٢ يونيو سنة ١٩٤١ اجتاح البريطانيون والروس إيران في يوليو سنة ١٩٤٠ واقتسام النفوذ فيها. وكانت الذريعة وجود مستشارين ألماني في إيران. مع أن إيران كانت على الحياد. ولم يكن لهؤلاء المستشارين أى دور فى الجيش الإيرانى. وبدأوا عمليتهم بأن أرسلوا إلى شاه رضا فى يوليو سنة ١٩٤١ مذكرة دبلوماسية تطالب بطرد الألمان الموجودين فى إيران. لكن شاه رضا رفض مطلبهم وإزاء رفضه قررت انجلترا وروسيا بتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية التدخل عسكريا بقواتها فى إيران. وفى ٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٢ دخلت القوات البريطانية فى جنوب وغرب إيران قادمة من العراق. واستقرت فى خوزستان وكرديستان؛ بينما احتلت الجيوش الروسية شمال إيران، وخصوصا مقاطعة أذربيجان فى الشمال الغربى، ومقاطعة خراسان فى الشمال الشرقى، ولم تتوقف انجلترا وروسيا عند هذا الحد. بل طالبتا أيضا بتخلى رضا شاه عن العرش لابنه محمد رضا. ثم نفوه إلى جزيرة دريس. ثم إلى جنوب إفريقيا حيث توفى فى مدينة جوهانسبرج فى ١١ يوليو سنة ١٩٤٤.

وتولى محمد رضا العرش فى ١٦ يوليو سنة ١٩٤٤. وهو فى الخامسة والعشرين من عمره وكان قد ولد فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٩١٩ وتعلم الفنون العسكرية فى سويسرا، ثم عاد منها ليدخل المدرسة الحربية فى طهران.

وفى ٢٩ يناير سنة ١٩٤٢ فرضت انجلترا وروسيا على إيران معاهدة تحالف بالرغم من اعتراض كثير من نواب البرلمان. وتقضى هذه المعاهدة بأن تتعهد كلتا الدولتين بالدفاع عن إيران ضد كل اعتداء، وبصيانة واحترام سلامة أراضي إيرانى واستقلالها السياسى، وبانسحاب جيوشهما من إيران فى مدة أقصاها ستة أشهر من انتهاء الحرب.

وأوفت بريطانيا بتعهداتها فسحبت جيوشها قبل ٢ مارس سنة ١٩٤٦. أما روسيا فقد ماطلت وتلكأت، وكانت قد أنشأت فى منطقتى احتلالها، فى أذربيجان، وكرديستان أحزابا موالية لها، هى حزب «توده» (الجمهورى)، وحزب الحركة الجمهورية فى أذربيجان، وحركة الاستقلال الذاتى للاكراد فى كردستان وأقامت أول جمهورية مستقلة

فى أذربيجان، ثم جمهورية شعبية كردية. وذلك فى نوفمبر سنة ١٩٤٥. وإزاء تلكؤ الروس فى الانسحاب. رفعت إيران الأمر إلى مجلس الأمن فى يناير سنة ١٩٤٦، وتحت تهديد الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا اضطرت روسيا إلى الإذعان. وسحبت قواتها من إيران فى مايو سنة ١٩٤٦. ومع ذلك ظل الروس يساندون «الجمهوريتين» الوهميتين اللتين لم تستطعا الوقوف أمام قوات الشاه، التى دخلت أذربيجان وكردستان فى ديسمبر سنة ١٩٤٦.

وهكذا تحررت إيران من الاحتلال الروسى ومن قبله بقليل من الاحتلال البريطانى. لكن الولايات المتحدة الأمريكية بدأت توطد نفوذها فى إيران، الذى بدأ فى سنة ١٩٤٢ مع إنشاء قيادة الخليج الفارسى التى تولت تحسين المنشآت الخاصة بموانئ خورمشهر، وبندر عباس. وبندر شاهبور، وذلك لتوصيل الأسلحة والمعدات إلى روسيا عبر الموانئ والأراضى الإيرانية، وتلت ذلك بإرسال مستشارين عسكريين وماليين، وفى سنة ١٩٤٧ مدوا تطبيق «مبدأ ترومان» ليشمل إيران. كما شمل اليونان وتركيا، ومعنى ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية صارت ضامنة لاستقلال إيران وسلامة أراضيه.

وكانت سنة ١٩٤٩ سنة حافلة بالأحداث فى إيران:

(أ) فى ٤ فبراير أطلق أحد أعضاء حزب تودة النار على الشاه محمد رضا، فأصابه فى حلقه إصابة سيظل الشاه متأثرا بها طوال حياته، وعلى إثر ذلك صدر قرارا باعتبار حزب تودة خارجا عن القانون، وأعلنت الأحكام العرفية.

(ب) وبدأ تطبيق الخطة السباعية للإنماء الاقتصادى.

(ج) وأنشأ د. محمد مصدق الجبهة الوطنية، وكانت تتألف من اتجاهات سياسية مختلفة، فكانت تضم حزبا ارهابيا أنشئ فى سنة ١٩٤٣ وسانده زعيم دينى كبير التأثير هو آية الله كاشانى، وحزبا من الوطنيين المنتسبين إلى الطبقة الوسطى والمتقنين، ويدعى حزب إيران، وحزبا ثالثا يتزعمه خليل مالكى يتألف من المثقفين اليساريين.

وفى سنة ١٩٥٠ أنشأ الشاه «بنياد بهلوى» «مؤسسة» وجعلها تشرف على أراضى التاج الشاهنشاهى الذى أعلن عن تخليه عنها لصالح الفلاحين والفقراء، فتولت هذه المؤسسة توزيع الأراضى التى يملكها التاج الإمبراطورى على صغار الفلاحين، وفى الوقت نفسه عين الجنرال على رزمارة رئيسا للوزراء لمحاربة الفساد المستشرى فى جهاز الحكومة،

ولما كانت محاربة الفساد قد طالقت مصالح العديد من كبار الموظفين والأثرياء والمقاولين - فقد تأمر هؤلاء على قتله، وفعلا قتله في ٧ مارس سنة ١٩٥١ عضو من جماعة «فدائيان إسلام».

وتقدم د. محمد مصدق في أبريل سنة ١٩٥١ باقتراح في البرلمان يقضى بتأميم صناعة البترول في إيران. فوافق البرلمان بالإجماع على الاقتراح، ونتيجة لذلك صار د. محمد مصدق رئيسا للوزراء في ٢٩ أبريل سنة ١٩٥١. فأعلن برنامج حكومته ويتلخص في تنفيذ قانون تأميم صناعة البترول، وفي تعديل قانون الانتخابات البرلمانية والمحلية.

فواجهت «شركة البترول الأنجلو إيرانية» A.I.O.C الموقف بأن بدأت بوقف استخراج البترول من الآبار؛ فردت حكومة مصدق بالتدخل في مصافي البترول في عبادان فرفعت الشركة والحكومة البريطانية شكوى أمام محكمة العدل الدولية في لاهاي. وذلك في يونيو سنة ١٩٥١. فأعلنت الحكومة الإيرانية عدم اعترافها باختصاص محكمة العدل الدولية في تناول هذه الشكوى، وقد أصدرت المحكمة في يوليو سنة ١٩٥٢ حكما بعدم اختصاصها بنظر هذه الشكوى.

وتنفيذا لقانون التأميم أنشأت الحكومة الإيرانية، في أكتوبر - نوفمبر سنة ١٩٥١، «الشركة الوطنية للبترول». فرد البريطانيون على ذلك بفرض حصار على تصدير البترول الإيراني إلى الخارج.

وبسبب انقطاع عائدات البترول، بدأ الاقتصاد الإيراني في التدهور. واحس الإيرانيون بالضيق، فسخطوا على د. محمد مصدق وسياسته، وبدأ السخط في البرلمان، وصاحبه اندلاع المظاهرات ضد الحكومة، وتكتل خصوم د. مصدق من العسكريين، وكبار الملاك، والمنتمين بالشركة الأنجلو- إيرانية للبترول. وحاول الحرس الشاهنشاهي القبض على د. مصدق في ١٦ أغسطس سنة ١٩٥٣، لكن المحاولة أخفقت. وإزاء ذلك اتفق الشاه مع الجنرال زاهدى وبتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية على القيام بانقلاب عسكري يتولاه الجنرال زاهدى وللتمويه سافر الشاه إلى روما. فقام الجنرال زاهدى بانقلاب عسكري وتولى رئاسة الوزراء بقرار من الشاه. وفي ١٩ أغسطس قبض على مصدق وعدد كبير من وزرائه. وحوكم هؤلاء أمام محكمة عسكرية، قضت على د. مصدق بالسجن ثلاث سنوات لأنه عارض الفرمان الشاهنشاهي الذى يقضى بتعيين جنرال زاهدى رئيسا للوزراء فخالف بذلك نص الدستور، وحكم على وزير خارجيته، د. فاطمي بالإعدام.

وأقام الجنرال زاهدى . حكومة دكتاتورية . وعقد اتفاقا مع مجموعة شركات Consortium دولية لاستغلال البترول الإيراني لمدة ٢٥ سنة . وتم عقد هذا الاتفاق فى سبتمبر سنة ١٩٥٤ ومنحته الولايات المتحدة منحة استثنائية مقدارها ٤٥ مليوناً من الدولارات . واستمرت مجموعة الشركات هذه فى استغلال البترول الإيراني بنسبة ٩٥٪ من الإنتاج الإجمالى للبترول فى إيران . بينما «الشركة الوطنية للبترول» لم تكن تنتج إلا الخمسة فى المائة الباقية . وأبتداء من سنة ١٩٥٨ منحت الحكومة الإيرانية امتيازات للكشف عن البترول لشركات أخرى . معظمها أمريكية بالتعاون مع الشركة الوطنية للبترول . وفى ديسمبر سنة ١٩٦٦ عقدت الحكومة الإيرانية مع مجموعة الشركات المذكورة اتفاقاً جديداً يقضى بأن تسترد الشركة الوطنية ربع الأراضى السابق منح امتيازها لشركات أجنبية . وصارت الشركة الوطنية هى التى تقوم بنفسها بتسويق إنتاجها . ثم عقدت اتفاقات أخرى فى عامى ١٩٦٧ ، ١٩٦٩ زادت من عائدات الحكومة الإيرانية التى تحصل عليها من رسوم إنتاج البترول وتصديره .

لكن نظراً لأساليب القمع التى لجأت إليها حكومة جنرال زاهدى ، وانتشار الاستياء بين سائر طبقات الشعب بسبب قسوة الحكام المحليين وكانوا من رجال الجيش الذين عينهم زاهدى لحفظ النظام فى الأقاليم اندلعت الاضطرابات فى أماكن مختلفة من البلاد . وإزاء هذا السخط الشامل اضطر الشاه إلى عزل زاهدى وتكليف حسين علاء بتشكيل حكومة مدنية فى أبريل سنة ١٩٥٥ .

وفى أكتوبر سنة ١٩٥٥ ، انضمت إيران إلى حلف بغداد ، الذى كان يتألف آنذاك من العراق ، وتركيا ، وباكستان ، وبريطانيا . وهو الحلف الذى تحول بعد انسحاب العراق منه إثر الإطاحة بالملكية فى ١٤ يوليو تموز سنة ١٩٥٨ إلى الحلف المركزى CENTO فى سنة ١٩٥٩ . وكانت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تشترك فى اللجنتين العسكرية والاقتصادية للحلف . دون أن تشترك اشتراكاً كاملاً فى الحلف كعضو فيه .

لكن حكومة حسين علاء لم تستطع تحسين الوضع المتدهور فى إيران ، على رغم المعونات الكبيرة الأمريكية . واستمرت الاضطرابات والمؤامرات ، وجرت محاولة اعتداء على شخص حسين علاء فى نوفمبر سنة ١٩٥٥ ، لكنه نجا منها . وأخيراً . فى أبريل سنة ١٩٥٧ ، استقال حسين علاء ، وحل محله فى رئاسة الوزارة منوچهر إقبال الذى

اتخذت سياسة أكثر اعتدالا فألغى الأحكام العرفية، وسهل قيام أحزاب سياسية. فقامت أحزاب سياسية أهمها حزبان: حزب «مردم»، «الشعب» الذي تأسس في سنة ١٩٥٧. وحزب «مليون» (الحزب الوطني) الذي تأسس في فبراير سنة ١٩٥٨. وبعد ذلك بخمس سنوات، أي في سنة ١٩٦٣، تأسس حزب جديد يدعى حزب «إيران نووين» «إيران الجديدة». لكن هذه الأحزاب الثلاثة لم تكن ذات قواعد شعبية، إنما كانت تستند إلى التجار والموظفين.

وشكل مجلس للشيوخ «سينا» لأول مرة في سنة ١٩٥٠. وكان يتألف من ستين عضواً. نصفهم يعينهم الشاه، والنصف الآخر ينتخبون (١٥ عن محافظة طهران، و ١٥ عن سائر المحافظات).

أما مجلس الأمة، أي مجلس شورى ملي، فكان يتألف من مائتي نائب، ينتخبون لمدة أربع سنوات بالتصويت وتزويرات عديدة في الاقتراع. حملت الشاه على إلغاء هذا الانتخاب. واضطر منوچهر إقبال رئيس الوزراء إلى الاستقالة، وحل محله جعفر شريف إمامي، رئيس حزب «مليون» فأجرى انتخابات في يناير سنة ١٩٦١، وفاز حزبه بالأغلبية الكبيرة فقامت الاعتراضات على صحة إجراء هذه الانتخابات، فألغيت. وأجريت انتخابات جديدة في مايو سنة ١٩٦١، أسفرت عن تولى علي أميني، وكان زعيم المعارضة في البرلمان، لرئاسة الوزارة. وكان سياسياً نزيهاً ووطنياً صادقاً، فقام بمحاربة الفساد. وألقى القبض على الموظفين المتورطين في أعمال القهر والبطش بالناس. وأمر بفتح تحقيق عن موارد الصحف. واستغل ذلك لإلغاء صحف المعارضة، وأعلن عن برنامج للإصلاح الزراعي. لكنه أخذ يبطش بخصومه، فأمر بنفي أعضاء جبهة د. محمد مصدق إلى جنوب البلاد. وبدلاً من الإفراج عن د. مصدق بعد أن أمضى المدة المحكوم عليه بها في السجن. وضعه تحت الإقامة الجبرية في منزله!!

## الثورة البيضاء

حاول الشاه محمد رضا بهلوي من ناحية أخرى القيام بما سماه بـ «الثورة البيضاء» انقلاب سفيد». أي الثورة الاجتماعية لإصلاح أحوال الفلاحين الذين يمثلون ٨٠٪ من شعب إيران. فأصدر قانوناً للإصلاح الزراعي في ١٥ يناير سنة ١٩٦٢ يقضى بأنه لا يجوز لمالك زراعي أن يملك أكثر من قرية واحدة، ومازاد عن ذلك تشتريه الدولة وتبيعه بعد ذلك

للفلاحين. وكان قانون الإصلاح الزراعي ضمن برنامج من ست مواد أجرى عليه استفتاء في يناير سنة ١٩٦٣.

لما كانت الأراضي الزراعية الكبيرة المساحات يمتلكها إما كبار ملاك الأراضي الزراعية (زميندار)، وإما الأوقاف الدينية التي يشرف عليها ويتصرف في ريعها كبار رجال الدين فقد امتلأت هاتان الطائفتان بالسخط على هذه «الثورة البيضاء» وراحتا تعملان على إثارة الكراهية ضد الشاه وموظفي الحكومة. مستغلة في ذلك فساد الموظفين الذين أسند إليهم تنفيذ قوانين ولوائح هذه «الثورة» وعارضت الجبهة الوطنية البرنامج المؤلف من ست مواد، وقام رجال الدين بالتحريض على إخراج المظاهرات في طهران وفي الأقاليم، بلغت أوجها في يونيو سنة ١٩٦٣. وكان آية الله الخوميني على رأس رجال الدين الذين حرصوا على القيام بهذه المظاهرات.

وفي سبتمبر سنة ١٩٦٣ أجريت انتخابات جديدة وكان الشاه في العامين السابقين يحكم بمراسيم تمخضت عن أغلبية ساحقة للمؤيدين للبرنامج الإصلاحي الذي حددته المواد الست وصارت في المجلس الجديد ست سيدات نائبات.

وتولى رئاسة الوزارة حسين على منصور، من حزب «إيران الجديدة» (إيران نووين) لكن أحد رجال الدين أطلق عليه الرصاص في مجلس شورى ملي فتوفى متأثراً بجراحه في ٢١ نوفمبر سنة ١٩٦٥، وذلك لأنه استصدر قانوناً في سنة ١٩٦٤ بتحديد الملكية الزراعية. وكذلك جرت محاولة أخرى لاغتيال الشاه في إبريل سنة ١٩٦٥، على أثرها تمت اعتقالات عديدة في أوساط اليساريين ورجال الدين، وعلى رأسهم آية الله الخوميني. واتخذ البوليس السياسي «سافاك» إجراءات قمع شديدة في هذه الأوساط، وبسبب هذه الاعتقالات وما أعقبها من إصدار أحكام قاسية من المحاكم العرفية اغتيل رئيس القضاء العسكري في أبريل سنة ١٩٧١.

لكن المعارضة كانت محصورة في هذه الأوساط اليسارية والدينية، دون أن تمتد إلى سائر أفراد الشعب الإيراني. ولهذا عندما أجريت الانتخابات في ٢ يوليو سنة ١٩٧١ حصل الحزب الحاكم، وهو حزب «إيران الجديدة» (إيران نووين) على ٢٣٩ مقعداً من مجموع المقاعد وهو ٢٨٠.

وعندما احتفل الشاه احتفالاً بالغ الفخامة بذكرى مرور ٢٥٠٠ سنة على الملكية الفارسية في برسبولس، وذلك في أكتوبر سنة ١٩٧١، أرسل آية الله الخميني نداءً من منفاه في

النجف (بالعراق) للعصيان المدني، لكن نداءه ذهب أدراج الرياح. ولم يستجب له أحد كذلك لم يكن لقدامى السياسيين من كبار رجال الأحزاب البائدة مثل كريم سنجابي، وشهبور بختيار، ومهدى بازركان، وأحمد صدر وداريوش فروهر. تأثير يذكر في الناس ولا في توجيه البرلمان.

أما المعارضة النشطة الإرهابية فقد كانت تتولاها جماعتان. جماعة «مجاهدين خلق» (مجاهدى الشعب) واتجاههم إسلامى تقدمى، وجماعة «فدائيين خلق» (فدائيى الشعب) واتجاههم ماركسى. وكان نشاطهم يتمثل فى الاعتداءات على كبار رجال الدولة وعلى البنوك والمؤسسات الحكومية. وكان نشاطهم بارزاً فى إقليم مازندران، حيث توجد الغابات، على الساحل الجنوبي لبحر قزوين.

## العرب والفرس

العرب والفرس قبيل الإسلام وبعده جاران، ولم يسلم هذا الجوار من احتكاكات وحساسيات انطبعت آثارها على صفحات الأحداث على مر التاريخ.

كان العرب فى جزيرتهم يعيشون عيشة البداوة، قبائل متعددة، ومتنافرة غالباً.. لم ينتظم لهم ملك ولا سادهم حكم يجمع شملهم، ولم تكن لهم بالتالى حضارة كتلك التى قامت فى الدولتين المجاورتين لهم من الشرق والشمال: فارس، والروم، وقد عرفت أرض فارس وشعبها الملك من قديم، وإن تعددت هذه الممالك أحياناً. حتى جاء الإمبراطور «قورش» أو «كورش»<sup>(١)</sup> ووحده هذه الممالك، وأقام أول إمبراطورية وحدت البلاد، واستولت على آسيا الصغرى «مملكة ليديا» فشملت مملكته أرض فارس شمالاً وجنوباً، ومملكة بابل فى العراق إلى آسيا الصغرى الأناضول، أرض الدولة التركية الآن، حتى أشرف ملكه على البحر الأبيض المتوسط.

وفى عام ١٩٧١ احتفل إمبراطور إيران بمرور خمسة وعشرين قرناً على تأسيس أول إمبراطورية فارسية على يد «قورش»، اعتزازاً منه بعرقه الفارسى وتاريخه، ولقب نفسه «شاهنشاه آريامهر» أى ملك الملوك حبيب الأريين، اعتزازاً منه بعنصره الآرى، الذى يعتبره متفوقاً على الجنس السامى، الذى منه العرب.

وكان العرب بحكم تفرقهم - قبائل متعددة - تطويهم فارس تحت جناحها لاسيما المنطقة الشرقية، المجاورة لها، فى شرق الجزيرة العربية وشمالها، والعراق.. كما كان

(١) ظهر كشخصية فذة سنة ٥٥٩ قبل الميلاد وتوفى سنة ٥٢٩ ق. م.

الرومان البيزنطيون يسيطرون على أرض الشام وشمال الجزيرة العربية الغربية ومصر والشمال الإفريقي.

وكانت فارس والروم الدولتين المتحضرتين القويتين حينذاك.. وكثيرا ما وقعت بينهما الحروب وتبادلا النصر والهزيمة.

ومع أن العرب كانوا بدوا، وقبائل متعددة، إلا أنهم كانوا شجعانا شم الأنوف، لذلك لم تسلم حياتهم من الاصطدام بالدولة القوية الفارسية التي كانت تنظر إليهم بعين الازدراء. ففي أيام «كسرى سابور الثاني»<sup>(١)</sup> تم التنكيل بالعرب، وأسر الكثير منهم، وبلغ حنقه عليهم ما يذكره الثعالبي في تاريخه، أنه نزع أكتاف خمسين ألف أسير عربي حتى سمي «بذى الأكتاف»، حيث كان يربط كل يد من أسير برباط مشدود إلى حصان، ويجرى الحصانان في اتجاهين مختلفين فتنزع اليدان من عند الكتفين، أو كان ينقر عظم اليد عند اتصالها بالكتف في رواية أخرى.

وفي أيام «كسرى أنوشروان»<sup>(٢)</sup> ذهب وفد من العرب إليه، على رأسه «النعمان بن المنذر» وأحسوا أنه ينتقصهم. فتحدهاه بذكر فضائل العرب، بكلمة ألقاها تفاخر فيها بهم، وأنهم يفضلون أمة تقار بهم، وتبعه حاجب بن زرارة، وأكثم بن صيفى وغيرهم. يفتخرون بفضائل العرب على الفرس، مما كان تحديا سافرا له.

ثم كانت بعد ذلك موقعة «ذى قار» قرب الكوفة بين بنى شيبان وجيش فارس، وكانت موقعة هائلة انتصر فيها بنو شيبان ومن معهم، على جيش الفرس الذى هزم هزيمة منكرة. بفضل شجاعة العرب وثباتهم وحمتهم. وكانت سنة ٦١٠ م بعد ميلاد الرسول ﷺ وهو شاب وقبل البعثة وكان الرسول ﷺ يقول عن يوم النصر هذا، هذا أول يوم انتصف فيه العرب لأنفسهم من العجم، وقد سمع الرسول بما حدث وهو شاب، وسرت في نفسه النشوة والفرحة كأى عربى آخر.

هكذا كانت روح العداء بين الفرس والعرب قبل الإسلام، الفرس يدلون بحضارتهم وقوتهم وعنصرهم على العرب، والعرب برغم فقرهم وتفرقهم وضعفهم، يشمخون بأنوفهم،

(١) فى تاريخ إيران «سابور الأول» تولى الملك سنة ٢٤٢ م. أما «سابور الثانى» فقد تولى الملك من سنة ٣٠٩ -

٣٧٩ م وحكم سبعين سنة - انظر «قادة فتح فارس» ص ٥٢ للواء الركن محمود شيت خطاب الطبعة الأولى.

(٢) تولى الملك سنة ٥٣١ بوصية من أبيه «قباد».

ويعتزون بأنفسهم ومزاياهم التي لا يجدونها في الفرس، وهم وإن خضع بعضهم لقوة الفرس. إلا أنهم لم يكونوا يتساهلون في عزتهم وكبريائهم ويجابيهون حتى ملوك الفرس بالحديث عن هذه المفاخر<sup>(١)</sup>.

وحين أخذ الرسول يوجه كتبه إلى الملوك والرؤساء يدعوهم للإسلام في السنة السابعة في الهجرة، بعد عهد الحديبية، كان كسرى ممن أرسل إليهم كتابا حمله الصحابي عبد الله بن حذافة السهمي، فلما بلغ كسرى الكتاب، استشاط غضبا ومزقه. إذ كيف يجرؤ عربي بدوى أن يرسل له بمثل هذا ويقول له «أسلم تسلم فإن أبيت فإنما عليك إثم المجوس»؟ كيف يجرؤ على مثل هذا التهديد والإنذار!

فلما بلغ ذلك الرسول ﷺ ودعا عليه، وقال «مزق الله ملكه»، وقد كان..

ولم يكتف كسرى بهذا، بل كتب إلى واليه على اليمن «بإذان» يأمره بأن يرسل لهذا الرجل «محمد ﷺ» برجلين جلدلين ليأتيا به إليه ونفذ بإذان الأمر وجاءا للرسول، وبلغاه مهمتهما، فأخبرهما بأن كسرى ثار عليه ابنه «شيرويه» وقتله، فتعجبا. وحملهما الرسول حين رجوعهما دعوة إلى «بإذان» أن يسلم، ويبقى واليا من طرفه على اليمن... فعجب «بإذان» من هذا، ولكنه بعد قليل تلقى كتابا يخبره بما حدث من قتل شيرويه لأبيه، وفيه أمر له بالأداء وينفذ وصية أبيه في هذا الرجل «محمد ﷺ» ولكنه كان قد بدأ في تنفيذها بإرسال رسله، ثم انتهى أمره إلى أن أسلم، وظل مكانه عاملا للرسول على اليمن، بعد أن ضعف أمر الفرس.

لقد كان الفرس يسيطرون على الأراضي العربية الشرقية، بدءا من جزء كبير من العراق.. وقد نقلوا عاصمتهم بعد هذا التوسع إلى أرض الرافدين ونزلوا جنوبا إلى شرق الجزيرة العربية، مما يشمل ما يسمى الآن بدول الخليج ونفذوا داخلها حتى استعمروا اليمن، وكانوا يعملون على إذلال العرب، وينكلون بمن يخرج منهم على سلطانهم، فكان من هؤلاء العرب من جند في جيش الفرس، لمحاربة العرب المسلمين عندما اتجهوا للعراق وفارس.

ولم ينس أصحاب رسول الله ﷺ الذين صار لهم الحكم بعده، رد كسرى على خطاب الرسول ﷺ، وأمره لعامله على اليمن أن يأتيه بهذا الرجل محمد ﷺ، ولم يقتهم أنه يسيطر على جزء كبير من أرضهم، وعندما انتقل الأمر لخلفاء رسول الله بدأوا يتطلعون إلى بلاد فارس والروم، وبدأت الجيوش الإسلامية خطواتها للقضاء على حكم كسرى.

(١) الشيعة. النهدي. الدرر - تاريخ ووثائق - كتاب الحرية سنة ١٩٨٧ - ص ٢٨. د. عبد المنعم النمر.

أرسل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه المغيرة بن شعبه الثقفي إلى رستم قائد الفرس قبيل معركة القادسية، فأقبل المغيرة حتى جلس مع «رستم» على سريره المعد له. فوثب عليه رجال رستم حيث لم يتعودوا أبدا مثل هذا. وأنزلوه فقال لهم: «قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام» (العقول). ولا أرى قوما أسفه منكم. إنا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضا. فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى، فكان أحسن من الذى صنعتم أن بعضكم أرباب بعض!! «فقال عامة الناس: صدق والله هذا العربى، وقال رؤسأؤهم: لقد رمى - والله - بكلام لازال عبيدنا ينزعون إليه».

وحقق المسلمون عددا من الانتصارات. ولكن الموقعة الفاصلة كانت بقيادة سعد بن أبي وقاص سنة ٦٣٦م حين التقى جيشه بجيش الفرس بقيادة القائد «رستم» فى القادسية، وانتهى القتال الذى استمر ثلاثة أيام بهزيمة الفرس. وقتل رستم. وتقدم العرب المسلمون نحو العاصمة «المدائن» بعد ذلك عام ١٣هـ - ٦٣٧م - ففتحوها ودخلها سعد ظافرا.

ثم حاول الملك محاولة أخيرة فجمع جيشه واشتبك مع المسلمين عام ١٩هـ - ٦٤٢م - فى موقعة «نهاوند» وانتصر فيها المسلمون، وقضوا على كسرى وجيشه، وقد أسر «الهرمزان» وجرى به للمدينة. وسقطت نهائيا الدولة الفارسية، وبدأ المسلمون حكم فارس، ومنذ ذلك الحين فقدت فارس استقلالها، وأصبحت ولاية من الولايات العربية.

ولقد وجد عامة الفرس فى الإسلام ومبادئه الخلاص مما كانوا فيه، فأقبلوا عليه. لكن كان هناك من وجد فيه قضاء على مصالحه، وعظمته وعز عليه أن يرى دولته العظيمة ذات الحضارة والسلطان، قد ذهبت للعرب الذين كانوا ينظرون إليهم بازدراء، ولم يكن لهم دولة كدولتهم، ولا حضارة كحضارتهم.

فاشتمل قلب هؤلاء بالحق على الإسلام، الذى أتى بهؤلاء العرب إليهم، ولم يجدوا من السهل عليهم أن يقبلوا الدين الجديد. كما قبله عامة الشعب الذين لم يكن لهم مصالح فى الحكم.

لكن لم يكن لهؤلاء السادة قوة ولا حيلة يواجهون بها قوة المسلمين، فتظاهروا بالإسلام والسير مع التيار لا ضده ليعيشوا وليكون سهلا عليهم أن يعملوا لتخريبه من الداخل، وينتقموا بذلك منه حين تواتيهم الفرصة.

ولأن الحقد ينبت من بين الضعف والطموح فإنه يتنفس من خلال التآمر. وكانت فاتحة هذا التآمر اغتيال الخليفة عمر رضي الله عنه الذى وجه إليهم جيشه ونفذ هذه المؤامرة أبو لؤلؤة المجوسى. حيث قتله وهو يصلى الصبح وقد ظنوا أنهم بهذا يقوضون الدولة الإسلامية، ويبددون جيشها الرابض على أرض فارس، ويستعيدون بذلك ملكهم وسيادتهم؛ ولكن الدولة ظلت فى طريقهما. وحمل الصحابة الراية والأمانة بعد مقتل ابن الخطاب. لكن المتآمرين فرحوا بما وصلوا إليه. وما زالوا حتى الآن يحتفلون بذكرى هذه الحادثة كأنها عيد من أعيادهم! كما أقاموا ضريحا فاحرا لفيروز أبو لؤلؤة وعدوه بطلا فارسيا.

ولم تتوقف مؤامرات القيادات الفارسية، وإن لجأوا إلى التستر والنفاق، كما حرصوا على إظهار إسلامهم والتزين بالزى العربى والانتماء إلى القبائل العربية الكبرى انتماء ولاء، وسماوا أبناءهم أسماء عربية، وكذب الكثيرون منهم. وفى مقدمتهم زعماءهم السياسيين، فادعوا تحدرهم من أصلاب أهل بيت النبوة، ودفعوا أبناءهم إلى تعلم العربية وإتقانها، وقراءة القرآن والحديث والتفقه والتأديب، والكتابة، وقرض الشعر، لاتخاذها وسائل يفسدون بها الفكر، كما جاء على هذا صريحا فى قول واحد منهم وأيدته أفعالهم، حيث قال «نرفض فى الظاهر ما بيننا من عداوة، ونظهر موافقتهم ومساعدتهم، وندخل فى دين محمد، ونؤمن به. ثم نفسد عليهم دينهم بلطيف الحيل. وندرك منهم بذلك ما لا يمكن إدراكه بالقهر والغلبة، فسلموا - كما قال المسعودى - ظاهر الشريعة، ولكن ذهبوا يقولون فى تأويل معانيها، ويأمرون المدعو عند أخذ العهد عليه بستر ما يكشفونه له من كتاب الله، وتأويل التأويل ويسمونها «البلاغ» وغير ذلك من دعواتهم، ووجوه سياساتهم وأسرارهم ورموزهم. وفى كتابى الغزالي: «فضائح الباطنية» و«فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» وكتب الفرق والنحل تفاصيل هذا الإجمال للمخطط الذى رسموه لأبطال الإسلام تحت «غطاء الإسلام». وقد ذكر العلامة الشيخ الأثرى بعد ذلك مظاهر من أفعالهم التى جاءت وفق خطتهم هذه من تدبير قتل الخليفة عمر، وتدخلهم فى الشغب على الخليفة عثمان وتدبيرهم مع القائد الفارسى «زادوية» أيام الإمام على مؤامرة مع الخوارج لقتله هو ومعاوية وعمرو بن العاص، وفى أيام الدولة الأموية لم يقدروا عليها، وتآمروا عليها فى السر مع بنى العباس، وتولى الأمر أبو مسلم الخراسانى. وهو من سلالة «يزدجرد» الملك الساسانى.

وكانت نياتهم متباينة وكان ما يضره الخراسانيون غير ما يضره العباسيون، ولم يخف على العباسيين أن القوم يتخذون من اسمهم غطاء. وفي أنفسهم أن يكروا عليهم بعد النصر فيزيحهم، وينقلوا الدولة إليهم. ويجعلوا الحكم فارسي الوجه واليد واللسان.. إلخ.. ولذلك تنبهوا لأبي مسلم الخراساني، وقضوا عليه في بادئ الأمر.

### من هم الشيعة؟

كلمة «شيعة» تعنى الأحزاب والأنصار والأتباع، وجاء في مفردات القرآن في مادة «شيع»: الشيعاء. الانتصار والتقوية، يقال شاع الخبر أى كثر وقوى. والشيعة: من يتقوى بهم الإنسان، وينتسرون عنه، يقال: شيعة وشيع وأشيعاء. ومنه قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(١)</sup> وقوله ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾<sup>(٢)</sup> وكان يطلق على أنصار معاوية أنهم شيعة، وكذلك عبد الله بن الزبير، أو عثمان رضى الله عنهم، كما تطلق هذه الكلمة الآن. فأية جماعة متجانسة مجتمعة حول فكر أو مبدأ أو رجل واحد.. يقال عنها: إنها شيعة هذا الفكر أو المبدأ أو الرجل.. أى أنصاره وأحبابه.

ولذلك أطلق على المسلمين الذين يخصون علياً عليه السلام بالحب، ويتعصبون له. على أنه كان الأولى بالخلافة من أبى بكر وعمر وعثمان، وأن الحكم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة هو لعلى ولزريته من بعده إلى يوم القيامة، واتخذوا لهم فكراً خاصاً، مبني على عقيدتهم فى الإمام على وأحقيته بالخلافة، فعادوا أبى بكر وعمر وتعدوا عليهما بالألقاظ السيئة، وصلت إلى حد لعنهما هما وكل من التف حولهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوجاته كالسيدة عائشة والسيدة حفصة إلخ..

قيل عن هؤلاء: إنهم شيعة، أى شيعة<sup>(٣)</sup> على وبنيه..

والمقطوع به أن أهل السنة يجلسون آل البيت جميعاً لقبهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنهم يفرقون بين هذا الحسب الدينى العاطفى، وبين موضوع الحكم والسياسة.. وأحقية على عليه السلام فى الحكم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة.. فهذا شىء، وذلك شىء آخر<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الصافات الآية ٨٣ وتعنى أن إبراهيم من شيعة نوح السائرين على طريقه فى الدعوة إلى التوحيد.

(٢) سورة القصص الآية ١٥ وهى فى شأن موسى وهو شاب فى مصر حين دخل المدينة فوجد فيها رجلين يقتتلان واحداً من شيعة بنى إسرائيل والآخر مصرى يعادى بنى إسرائيل فى مصر وينبذهم.

(٣) وهم الذين يحيون علياً.

(٤) الشيعة. المهدي. الدروز - تاريخ ووثائق - د. عبد المنعم النمر - كتاب الحرية سنة ١٩٨٧ - ص ٣٦.

لكن الشيعة ركزوا فكرهم على الحكم وأحقية عليّ فيه . هو وذريته إلى يوم القيامة . ورووا في ذلك روايات لم تصح عند أهل السنة ، وزادوا على أركان الإسلام الخمسة كما وردت في حديث رسول الله «بنى الإسلام على خمس...» وزادوا ركنا سادسا ، وهو الإيمان بالإمام المعصوم وهو عليّ وبنوه من بعده ، على طريقة النص عليه بولاية عهده ، وأن هذا الإمام هو الخليفة والحاكم للمسلمين حتى قيام الساعة» .

ومن لم يؤمن بالركن السادس «فليس بمؤمن» ، كما تنص على ذلك كتبهم وكما يتحدث علماءهم الخواص . لكن هذا سرى إلى عامة الشيعة بأن من لم يؤمن بما يؤمنون به فليس بمسلم . وهو مخند في النار.. شأن من لم يؤمن بالله ، وبوجوب الصلاة.. الخ . ولذلك يشيع في ذهن عامة الشيعة اعتقاد بأن السنة كفار ، وإن كان علماءهم يتحفظون على ذلك ويقولون : هو كلام العامة الجهلاء ! ولكن من الذي علم هؤلاء وأوحى إليهم بفكرهم هذا؟

ثم كيف نجد في كتبهم التي ألفها كبار حكمائهم بالطبع إصرارهم على لعن الخليفتين أبي بكر وعمر ، ووصفهما بأحط الأوصاف التي يأنف من الاتصاف بها مسلم عادى . أو أى إنسان عادى بدعوى أنهم انتزعوا الحكم من عليّ؟

ثم كيف نجد علماءهم حتى الكبار والقادة منهم يتحدثون - حتى الآن - ويكتبون أن أبا بكر وعمر وعثمان كفار؟! وأنهم خالفوا القرآن والسنة عمدا؟ وذلك بتوليهم الحكم وإبعاد عليّ عنه وهو الأولى به والمتعين له؟

وهم يعتمدون في ذلك على حديث قالوا إن الرسول قاله ، وهو راجع من حجة الوداع عند «غدير خم» وعين عليّا ليخلفه في حكم المسلمين ، وهو حديث لم يصح بهذا المعنى عند أهل السنة ، ومحال أن يكون الصحابة أو بعضهم قد سمعوا هذا الحديث عن الرسول ثم خالفوه ، ولا سيما أبو بكر وعمر ، ولو عرف الصحابة هذا الحديث وهو فى أمر عظيم وليس سرا ما اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة ، والرسول لا يزال مُسجى فى بيته ، ليختاروا خليفة من بعده ، وقد بدأ الأنصار ذلك ثم لحقهم المهاجرون .

فلو أن هذا الحديث قد عين عليّا لسمعه أو سمع به الصحابة وعرفوه ، وقد مكث الرسول ﷺ بعد عودته نحو ثلاثة أشهر ، لقام من سمعوه حين الاختلاف على من يكون خليفة - وكان خلافا خطيرا وقالوا لهم : أريحوا أنفسكم ، فالرسول عين عليّا خليفة من بعده ، ولم يكن هذا ليخفى على كل هؤلاء الصحابة ، وما كانوا ليعصوا أمرا للرسول .

فالرسول - إذن - لم يختار علياً ليكون خليفة وحاكماً بعده ويتسلسل الحكم في ذريته ، ولم يرسل ليكون من مهماته أن يورث الحكم لأقاربه وأهل بيته . وإنما ترك أمر خليفته لاختيار المسلمين عملاً بمبدأ الشورى ، وإن كانت له إشارات لها معناها ، لمن تتجه إليه الأنظار ، ويوضع موضع الترشيح ، وهو أبو بكر حين رضيه ليقوم مقامه في إمامة المسلمين في الصلاة . وكان علي حاضراً ، وعمر .

ثم كيف يأمر القرآن بالشورى ويمدح من يأخذ بها ، ويجعلها صفة للمؤمنين فيأتي الرسول فيجهز عليها ، ويخالف أمر ربه ، في أهم أمر من أمور المسلمين ، وهو الحكم ويعين عليهم علياً وذريته حكماً إلى يوم القيامة؟! إن الحاكم هو الذى يختاره المسلمون ، ولو كان عبدا حبشياً ، ولكن الشيعة ذهبوا إلى غير هذا ، واعتبروا الخلفاء الراشدين قبل علي معتدين وكفاراً .

وفى كتاب «كشف الأسرار» الذى كتبه آية الله روح الله الخمينى وصدر عن المطبعة الإسلامية بطهران عام ١٩٤١ جادل الرجل مخالفيه من أهل السنة وساق الأدلة على صحة الاعتقاد بالركن السادس «الإمامة» وضرورة الإيمان به لكل مسلم .. وينتهى إلى الآتى :

#### ١ - مخالفة أبى بكر لنصوص القرآن<sup>(١)</sup>

حيث تحدث عما جاء فى القرآن عن وراثة الملك ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾<sup>(٢)</sup> ، ﴿فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾<sup>(٣)</sup> يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾<sup>(٤)</sup> ، الخ ليخرج من هذا بصحة نظريتهم فى أن علياً يرث الملك والحكم عن الرسول ﷺ .

ثم أخذ يسوق أدلته على أن أبا بكر خالف نصوص القرآن حسب هواه وخطته لإبعاد آل البيت عن الحكم واضطهادهم فى معيشتهم حين اخترع حديث «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة» .

#### ٢ - مخالفة عمر لكتاب الله

ويذكر أحداثاً يستنتج منها ما يريده .. ويأتى بما حدث من الرسول ﷺ حين طلب أن يكتب لهم كتاباً .. إلخ وقول عمر فى ذلك .. ثم يقول بعد أن أورد مصادره :

(١) ص ١١١ من الكتاب المذكور .

(٢) سورة النمل الآية ١٦ .

(٣) سورة مريم الآيات ٥ - ٦ .

وهذا يؤكد أن هذه الفرية صدرت من ابن الخطاب المفترى «هكذا!!» ثم بعد سطرين يقول عن كلمات ابن الخطاب في هذا إنهما «قائمة على الفرية، ونابعة من أعمال الكفر والزندقة»، وفي الصفحة نفسها كتب عنوانا، خلاصة كلامنا حول ذلك: قال تحتها: «من جميع ما تقدم يتضح أن مخالفة الشيخين للقرآن لم تكن عند المسلمين شيئا مهما جدا» ويعلل ذلك بأنهما لم يكونا يستمعان لرأى أحد، ولا كانا مستعدين لترك المنصب، ولا كان أهل السنة مستعدين للتخلي عنهما، حتى لو قال عمر: إن الله أو جبريل أو النبي قد أخطأوا في إنزال هذه الآية، كما قاموا بتأييده فيما أحدثه من تغييرات في الدين الإسلامي!!

إلى هذا الحد يكتب «خوميني» عن أبي بكر وعمر رضى الله عنهما، يكتبه لأتباعه أولا ليغرس فيهم، كما غرس فيهم سابقوه كل في زمانه، هذا الاعتقاد في أبي بكر وعمر.. وهو بالطبع اعتقاد غير صحيح بالمرّة.

ولذلك لم يكن عجبا ولا بعيدا ما نقل عن أقوال الخوميني وكتبه من أنه يطلق على الشيخين: الجبت والطاغوت، ويسمييهما «صنمى قریش»، ويرى كجماعته أن لعنهما واجب، وأن لعنهما ولعن السيدة عائشة، والسيدة حفصة، له ثواب عند الله «هكذا» وكذلك الحال بالنسبة للخليفة عثمان رضي الله عنه<sup>(١)</sup>.



(١) كشف الأسرار ص ١٠٧.